جـــزيرة جـــربة التونســـية

دراسة فى التـــاريخ الســياسى والحضـــارى
فى العصر الاســـلامى

دكتور

رضوان البارودى

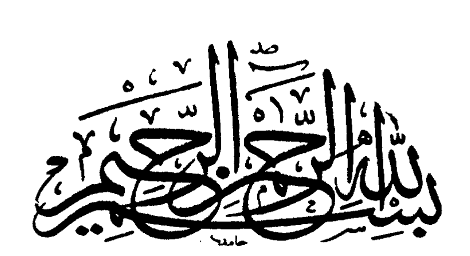
أستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية المساعد

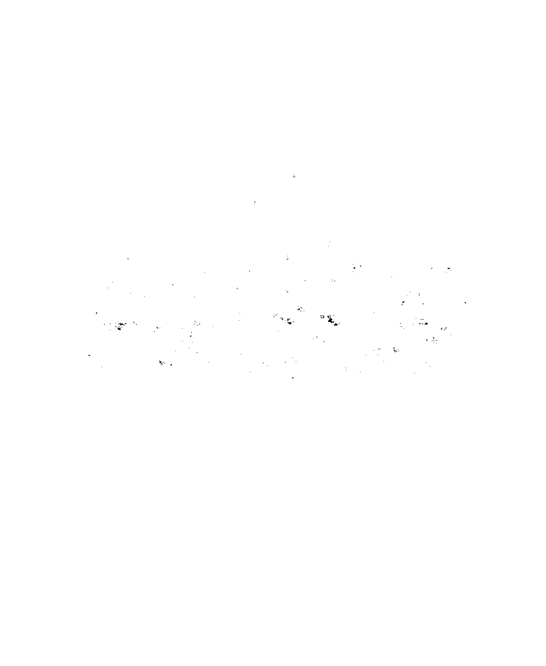
كلية التربيــة ــ كفر الشيخ

جامعـــة طنطا

١٩٩٠







مقدمة

لم تحظ جزيرة جربة التونسية (Djerba أو Gerba) بالعنــاية الكافية من الباحثين فى تاريخ وحضارة المغرب فى العصر الاسلامى على الرغم من أهمية موقعها الجغرافى فى مياه البحر المتوسط قبالة الساحل التونسى ودورها البارز فى أحداث بلاد المغرب • وباستثناء الكتــاب الذى ألفه محمد أبو راس الجربى (ت بعد ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م) قبــل نحو قرنين عن هذه الجزيرة تحت عنوان « مؤنس الأحبة فى أخبــار جربة »[1] ، فانه لم تكتب فى العربية — فيما نعلم — أية دراسة عن تاريخ جربة خاصة فى العصر الاسلامى • وحتى كتاب مؤنس الأحبة لا يعطينا صورة واضحة عن هذه الجزيرة خلال الفترة الممتدة من الفتح العربى حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (١٥م) ، وقد أشار محقــق الكتاب الاستاذ محمد المرزوقى الى ذلك[2] ، بل وقام الاستاذ المرزوقى بحذف مقدمة الكتاب الاصلية والتى بلغت نصف الكتاب تقريبا ، بدعوى عدم فائدتها بالنسبة لتاريخ جربة ، اذ احتوت هذه المقدمة على جداول لتواريخ تولية ووفاة أو عزل جميع الحكام المسلمين فى الدول التى لها اتصال بافريقية منذ عهد الخليفة الراشد أبى بكر الصديق (١١ — ١٣هـ/ ٦٣٢ — ٦٣٤م) حتى عهد الباى حموده باشا المعاصر للمؤلف (مطلع

---

(١) تحقيق محمد المرزوقى ، تونس ١٩٦٠ .

(٢) أنظر مقدمة كتاب مؤنس الاحبه بقلم المرزوقى ص١٤ .

القرن التاسع عشر الميلادى) • أما القسم الباقى من الكتاب فاشتمل على عدة موضوعات مثل وصف الجزيرة وأهم آثارها منذ القديم ، مع ذكر أشهر علمائها حتى عصر المؤلف ، أما الجانب التاريخى فيتعلق معظمه بتاريخ هذه الجزيرة فى العصر الحديث ، أما تاريخها فى العصر الاسلامى فلا يشغل الا صفحات قليلة العدد جدا لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة[٣] ، وحتى هذه الصفحات تبدأ بأحداث القرن السادس الهجرى عندما وقعت هذه الجزيرة فى قبضة النورمان عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م وحتى عام ٩١٦هـ/١٥١٠م • ومن هنا نرى أن كتاب مؤنس الأحبة لا يعطينا فكرة واضحة عن هذه الجزيرة وأحوالها خلال العصر الاسلامى الوسيط ، ولذلك رأيت أن أفرد هذه الدراسة فى محاولة لابراز جوانب من تاريخ وحضارة هذه الجزيرة خلال العصر الاسلامى•

وقد بدأت هذه الدراسة بتمهيد جغرافى اشتمل على تحديد موضع الجزيرة ومساحتها والطرق التى تربطها بالساحل التونسى ، ثم انتقلت بعد ذلك للحديث عن الفتح الاسلامى لجربة ، واتبعت ذلك بالحديث عن جربة والمذهب الاباضى على اعتبار أن هذه الجزيرة تعتبر مركزا من أهم مراكز المذهب الاباضى حتى العصر الحاضر ، بل نستطيع أن نؤكد أن تاريخ هذه الجزيرة خلال القرون الاربعة الاولى للهجرة ارتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الحركة الاباضية فى بلاد المغرب بصفة عامة • وقد أفردت بعد ذلك عدة صفحات للحديث عن جربة والفاطميين، حيث أوضحت أن هذه الجزيرة التى انضوت تحت لواء الفاطميين عام ٣١١هـ/٩٢٣م لم تلبث أن خلعت طاعتهم — نظرا للاختلاف المذهبى — وانضم النكارية من أهلها الى جانب أبى يزيد مخلد بن كيداد فى ثورته ضد الدولة الفاطمية ، هذه الثورة التى كادت أن تعصف بالفاطميين فى شمال افريقيا وتقضى على دولتهم ، بيد أن فشل ثورة أبى يزيد على

---

(٣) من ص١٠١ حتى ص١٠٤ وهذه الصفحات الخمس احتوت على هوامش وتعليقات كثيرة اكبر من حجم المتن نفسه •

يد المنصور الفاطمى أعاد جربة الى حكم الفاطميين ثم اتباعهم الزيريين بعد ذلك • وفى عصر الزيريين شهدت الجزيرة عدة حوادث مهمة ، حيث تحولت الى مركز من مراكز القرصنة البحرية فى حوض البحر المتوسط، وصارت مصدر ازعاج للحكام المسلمين والمسيحيين على السواء ، بسبب غارات الجربيين على السفن التى تمخر عباب البحر فى هذه المنطقة • ولذلك تعرضت جربة لعدة غارات تأديبية من قبل الزيريين ، وأخيرا استولى عليها النورمان عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م ، الا أنهـا لم تلبث أن تخلصت عام ٥٥١هـ/١١٥٦م من السيطرة النورماندية وانضوت تحت لواء الموحدين ثم الحفصيين من بعدهم • وقد تعرضت جربة فى عهد الحفصيين لعدد من الحوادث المهمة ، فقد احتلها الصقليون عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م بمساعدة من مملكة أراجون • وقد حاول الحفصيون استعادة هذه الجزيرة لسيطرتهم عدة مرات ولكن بدون جدوى ، ولعل أشهر محاولاتهم تلك التى قام بها شيخ الموحدين أبو يحيى زكريا بن اللحيانى عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م ورافقه فيها الرحالة المغـربى أبو محمد عبد الله التجانى ، الذى دون لنا وصفا دقيقا لجربة وعناصر سكانها ونشاطهم الاقتصادى ، بالاضافة الى معلومات قيمة عنها فى العصور السابقة • ولم يتمكن الحفصيون من استعادة هذه الجزيرة من يد المحتلين الا عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م •

تعرضت جزيرة جربة بعد ذلك للغزو المرينى ــ شأنها شـأن بقية أراضى الدولة الحفصية ــ أيام السلطان أبى الحسن على المرينى، ولكنها لم تلبث أن عادت الى طاعة الحفصيين الذين سمحوا لبنى مكى بالاشراف عليها بالاضافة الى قابس • ولكن جربة واجهت بعد ذلك حملتين عنيفتين قامت جنوه وحلفاؤها من المدن الايطالية بشن الاولى عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م ، فى حـين قام الفونسو الخامس ملك أراجـون بالثانية عام ٨٣٥هـ/١٤٣٢م ، بيد أن كلتا الحملتين باءتا بالفشل بعد أن أحدثتا الكثير من الدمار والتخريب فى الجزيرة •

أما عن الجوانب الحضارية فى جزيرة جربة ، فقد خصصت لها عدة صفحات تناولت فيها عناصر السكان بالجزيرة ، وأوضحت أن غالبية سكانها كانوا من البربر ، بالاضافة الى عدد غير كبير من العرب ، وقلة من اليهود وفدوا اليها منذ نهاية القرن الاول الميلادى • ثم تحدثت عن لغة أهل جربة ، الذين استخدموا اللغة البربرية فى حياتهم الخاصة ، أما اللغة العربية فقد استخدمها الاهالى فى نطاق المعاملات الرسمية مع السلطات الحاكمة • ثم تعرضت بعد ذلك الى ذكر النشاط الاقتصادى لسكان جربة فى العصر الاسلامى حيث تنوعت مظاهر هذا النشاط من زراعة ورعى وصناعات وتجـارة ، واختتمت الحـديث عن الجوانب الحضارية بالاشارة الى الحياة الفكرية بالجزيرة خلال الفترة موضوع الدراسة ، ثم وضعت خاتمة للبحث ضمنتها أهم النتائج التى توصلت اليها •

وأرجو أن أكون قد وفقت لما عرضت له ، مما يتصـل بتاريخنا الاسلامى فى بلاد المغرب ، وأسأل الله عز وجل التوفيق فى الفكر والقول والعمل ، انه نعم المولى ونعم النصير •

دكتور

رضـوان البـارودى

تمهيـد جغـرافى :

تقع جزيرة جربة[1] فى الجزء الجنوبى من مياه خليج قابس بالقرب من السواحل الليبية ، فهى اذا تتبع ولاية افريقية (تبعد عن تونس العاصمة حوالى ٥١٠كم) . وقد اختلف الجغرافيون والرحالة المسلمون فى تحديد مساحة هذه الجزيرة ، فالشريف الادريسى يذكر أن طولها ستون ميلا من المغرب الى المشرق ، وعرض الرأس الشرقى خمسة عشر ميلا[2] ، أما القلصادى فقد ذكر فى رحلته أن دائرة (محيط) الجزيرة اثنان وسبعون ميلا ، وطولها ثمانية عشر وكذلك عرضها[3] . ولكـــن المساحة الحقيقية للجزيرة تبلغ ٢٢٤ ميلا مربعا ، فى حين يبلغ محيطها حوالى ٨٠ ميلا اذا أخذنا فى الاعتبار التعرجات الساحلية للجزيرة[4].

---

(١) بكسر الجيم أو فتحها ثم السكون والباء الموحدة خفيفة . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، بيروت ، جـ٢ ص١١٨ ، مادة جربة .

(٢) الشريف الادريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ . المجلد الاول ص٣٠٥ . كذلك أنظر : عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار فى خبر الاقطار ، نشر الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ص١٥٨ .

(٣) أبو الحسن على القلصادى : رحلة القلصادى ، تحقيق محمد ابو الاجفان ، تونس ١٩٧٨ ص١٢٣ .

(٤) Encyclopedia of Islam, Art. Djerba by G. Yver

وتعتبر جزيرة جربة من الناحية الطبيعية امتدادا لسهل الجفارة الذى تقع فيه مدينة قابس اذ لا يفصلها عن هذا السهل سوى بحر قليل العمق فى نقطتين رئيسيتين : **الاولى** وتقع فى الجنوب الغربى من الجزيرة وتسمى مجاز الجرف ، وعرض هذا المجاز نحو ميلين ، ويقع هذا المجاز بين رأس الجرف فى اليابس على الساحل التونسى ومدينة آجيم بالجزيرة ، **والثانية** تقع فى الجنوب الشرقى وتسمى مجاز القنطرة ، ويبلغ عرض هذا المجاز حوالى سبعة كيلومترات[٥] • وتوجد ثلاث جزر صغيرة المساحة قريبة من جربة ولكنها منقطعة عنها ، احدى هذه الجزر تعرف باسم جزيرة زيزوا أو ريزو ، وقد أشار اليها الادريسى فى معرض حديثه عن جربة بقوله : « ويتصل بهذه الجزيرة (أى جربة) الى جهة المشرق جزيرة زيزوا وهى صغيرة جدا وفيها نخل وكروم ، وبين جزيرة زيزوا والبر نحو ميل»[٦] • أما الجزيرتان الاخريتان فهما على الساحل الغربى لجربة قرب مرسى آجيم، احداهما جنوب المرسى وتسمى تغليسية والاخرى غرب المرسى وتسمى تاوسخت[٧] •

وكانت جزيرة جربة تعرف باسم مينيكس **Menix** على أيام الفينيقيين واليونان والرومان ، ويقال أنه كان بها مصرف للفينيقيين •

---

(٥) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر البارون دى سلان ، الجزائر ١٩١١م ص ٨٥ . التجانى : رحلة التجانى ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ ص١٢١ حيث يذكر أن مجاز الجرف عرضه اربعة أميال وليس ميلين . انظر ايضا : روبرت برنشفيك : تاريخ افريقية فى العهد الحفصى ، ترجمة حمادى الساحلى ، بيروت ، ١٩٨٨ جا ص٣٤٩ •

(٦) الادريسى : نزهة المشتاق : جا ص٣٠٦ — الحميرى : الروض المعطار ص٢٨٠ •

(٧) محمد المرزوقى : مقدمة كتاب مؤنس الاحبة ص٧٨ — ٧٩ •

أما تسميتها بجربة ، فقد ذكر ابن خلدون أنها اكتسبت هذا الاسم من اسم أول قبيلة نزلت بها من قبائل لماية البربرية وكانت تسمى جربة[8]. ولعل ما يعيننا — فى البداية — أن نعرض لتاريخها بداية من الفتـــح الاسلامى .

فتح المسلمين لجربة :

تم فتح المسلمين لجربة عام ٤٧هـ/٦٦٧م وفقا لرواية كل من المالكى والتجانى[9] أثناء حملة معاوية بن حديج على بلاد المغرب ، وتم فتحها على يد الصحابى رويفع بن ثابت بن سكن الانصارى من بنى النجـــار ودفين برقة ، وقد اشترك معـــه كل من الصحابين حنش بن عبد الله الصنعانى وفضاله بن عبيد الانصارى الأوسى . ويبدو أن فتح جربة على يد رويفع تم بواسطة الاسطول الاسلامى الذى بدأ معاوية بن أبى سفيان فى تكوينه بعد أن حصل على موافقة الخليفة عثمان بن عفان على ذلك ، ولدينا من الشواهد ما يؤكد أن الاسطول المصرى بالذات هو الذى قام بفتح جربة ، ومن الثابت أن هذا الاسطول قد غزا جزيرة صقلية عام ٤٦هـ/٦٦٦م أثناء حملة معاوية بن حديج على افريقية ، كمـــا أن هذا الاسطول بقيادة عقبة بن نافع الفهرى قد غزا فى البحر فى شتاء عام ٤٩/٦٦٩هـ كما ذكر البلاذرى[10] .

---

(٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعـــة بولاق جـ٦ ص١٢٢ . كذلك : محمد بن مبارك الميلى : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث، الجزائر ١٩٦٣ جـ٢ ص١٨٣ .

(٩) المالكى : رياض النفوس تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١ ، جـ١ ص٥٣ ، التجانى : رحلة التجانى : ص١٢٤ : انظر كذلك : ابو المحاسين بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٨ ، جـ١ ص١٣٢ .

(١٠) البلاذرى : كتاب فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد جـ١

أما عن تاريخ جربة عقب فتح المسلمين لها ، وحتى أوائل القرن الثانى الهجرى (٨م) فيكتنفه كثير من الغموض ، لأن المصادر التى بين أيدينا لا تذكر عنه شيئا ، ولا توضح لنا هل كانت جربة تتبع طرابلس أم القيروان ؟ وعموما فالرأى الغالب أن جربة كانت تتبع طرابلس بدليل أن واليها — رويفع بن ثابت — هو الذى تولى مهمة فتحها عام ٤٧هـ/ ٦٦٧م • كما أن المسلمين — فيما يبدو — قد تركوا بها حامية اسلامية كعادتهم فى فتوحاتهم ، ويبدو أيضا أن الاسلام قد بدأ ينتشر بالجزيرة تدريجيا شأنها شأن بقية بلاد المغرب[11] •

جربة والمذهب الاباضى :

اقترن تاريخ جزيرة جربة بتاريخ المذهب الاباضى فى بلاد المغرب، فقد اعتنق سكان هذه الجزيرة هذا المذهب وتعصبوا له ، وتمسكوا به الى الآن • والمذهب الاباضى أحد مذاهب الخوارج المختلفة التى ظهرت فى بلاد المشرق ، وينسب هذا المذهب الى عبــد الله بن اباض المرى (ت ٨٦هـ/٧٠٥م) • وقد واجه الخوارج عموما اضطهادا عنيفا من قبل الدولة الاموية بالمشرق ، مما دفعهــم الى العمل على نشــر مذهبهم وأفكارهم فى أماكن بعيدة نسبيا عن مركز السلطة سواء فى دمشق أو بغداد ، وكانت بلاد المغرب من بين تلك المناطق • وقد تقبــل البربر المذاهب الخارجية المختلفة وخاصة الصفرى والاباضى لأنهم وجدوا أنها تناسب وضعهم السياسى والاجتماعى ، فاتخذوها عنوانا المعارضة

= ص٢٧٨ ، أبو المحاسن بن تغرى بردى : المصدر السابق جا ص١٣٨ — انظر كذلك : د. السيد عبد العزيز سالم بالاشتراك مع الدكتور أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية ، بيروت ١٩٧٢ ، ج٢ ص٢٦ .

(١١) محمد المرزوقى : مقدمة كتاب مؤنس الاحبة ص٤٢ .

القومية ضد أى سيادة تفرض عليهم[12] . وكانت منطقة جبل نفوسه وطرابلس وبلاد الزاب[13] بالاضافة الى جزيرة جربة من أهم المناطق التى انتشر فيها المذهب الاباضى ، ومن المعلوم أن هذا المذهب قد عرف طريقه الى بلاد المغرب مع بداية القرن الثانى الهجرى(٨م) ، ولكننا لا نستطيع أن نحدد تاريخا معينا لدخوله الى جزيرة جربة ، ولكن من المحتمل أن يكون ذلك قد تم أثناء امامة اسماعيل بن زياد النفوسى (امام الدفاع عند الاباضية فى المغرب) لأنه تمكن عام ١٣٢هـ/٧٤٩م من الاستيلاء على مدينة قابس ، ولما كانت المسافة بين قابس وجزيرة جربة بسيطة جدا ، فمن المنطقى أن يكون اسماعيل بن زياد النفوسى قد بسط سيطرته على هذه الجزيرة وعمل على نشر المذهب الاباضى بها وذلك نظرا للروابط التى تربط سكان جربة بأهل جبل نفوسة[14] . ويبدو أن جربة لم تستمر طويلا تحت سيطرة الاباضية خاصة عقب مصرع اسماعيل بن زياد النفوسى عام ١٣٢هـ على يد شعيب بن عثمان أحد قادة عبد الرحمن بن حبيب الفهـرى مؤسس امارة الفهريين فى المغرب [15] . ولم يتمكن الاباضيون من استعادة سيطرتهم على جزيرة جربة الا أيام الامام الاباضى أبى الخطاب عبد الأعلى بن السـمح المعافرى (أول أمام ظهور عند الاباضية فى المغرب)، حيث استولى على طرابلس عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م ، ثم عمد الىتوسيع حدود امارته

---

(١٢) د. أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس، الاسكندرية : ١٩٦٨ ص ٤٥ .

(١٣) بلاد الزاب Zab : تقع جنوبى ولاية قسنطينة بالقطر الجزائرى، وتشغل المساحة الكبيرة الواقعة فى جنوب جبل الاوراس ، وتشتهر هذه المنطقة بهوائها الحار وكثرة نخيلها . ومن أهم مدن الزاب : المسيلة ونقاوس وطبنه وبسكرة وتهودة . راجع : الحميرى ، الروض المعطار ص٢٨١ .

(١٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ص٢٢٥ .

(١٥) نفس المصدر والصفحة .

على حساب ممتلكات مخالفيه فى المذاهب ، فاستولى على جربة وقابس وجبل دمر [١٦] فى نفس العام (١٤٠ هـ) [١٧] .

وتعود المصادر وخاصة الاباضية الى الصمت عن أخبار جزيرة جربة وخاصة فى الفترة التى أعقبت مصرع أبى الخطاب على يد محمد بن الاشعث الخزاعى قائـــد الجيش العباسى فى موقعة تاورغا عام ١٤٤هـ/٧٦١م[١٨] . ولا نعـــرف هل استمرت جزيـــرة جربة تحت سيطرة الاباضية أم لا ؟ كل ما نعرفه أن الولاه العباسيين فى القيروان كان لهم السلطة السياسية على هذه الجزيرة ، أما الناحيـــة المذهبية فيبـــدو أن أهالى جربة كانوا يدينـــون بالتبعيـــة للامام الرســـتمى عبد الرحن بن رستم فى تاهرت (١٤٤ — ١٦٨هـ/٧٦١ — ٧٨٤م) . وعقب وفاته خرجت بعض الوقت عن طاعة الرستميين المذهبية نتيجـــة للخلاف الذى وقع بين الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمـــن بن رستم (١٦٨ — ١٩٨هـ / ٧٨٤ — ٨١٤م) ويزيد بن فندين وجماعته الذين رفضوا امامة عبد الوهاب ، وقد أطلق عليهم اسم النكارية أو النكار[١٩] .

---

(١٦) جبل دمر : يقـــع بولاية طرابلس ، ويشكل الطرف الغـــربى للسلسلة التى تمتد من جنوب طرابلس حتى مدينة قابس ، وقد ذكر الادريسى ان المسافة التى تفصل بينه وبين جبل نفوسه تبلغ ثلاث مراحل فى رمال متصلة . جـ١ ص٢٩٩ .

(١٧) الشماخى : (أحمد بن سعيد) : كتاب السير ، القاهرة ١٨٨٤م ، ص١٢٨ . محمد المرزوقى : مقدمة كتاب مؤنس الاحبة ، ص ٤٥ . عوض محمد خليفات : نشأة الحركة الاباضية ، عمان ١٩٧٨ ص ١٥٠ .

(١٨) عن معـــركة تاورغا وهزيمـــة الاباضية . راجع : أبو زكريا يحيى بن أبى بكر : كتاب سير الائمة وأخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربى ، الجزائر ١٩٧٩ ص٤٦ — ٤٧ — الشماخى : المصدر السابق ص١٣٢ .

وقد مال نفر من أهل جربة الى رأى النكارية ، ولكن الامام عبد الوهاب استطاع بعد حروب عنيفة مع الأغالبة حكام افريقية ، أن يبسط نفوذه على منطقة طرابلس بعد أن اتفق مع الامير الاغلبى عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب على اقتسام منطقة طرابلس بينهما ، فيكـــون البلد والبحر لعبد الله ، وما كان خارجا عن ذلك لعبد الوهاب[٢٠] . وقد استولى الامام عبد الوهاب على قابس ثم عبرت جيوشه البحر حيث بسطت سيطرتها على جزيرة جـــربة عام ١٩٦هـ / ٨١١م التى عين عليها أحـــد الولاة التابعين له . وقد قام هذا الوالى ببناء جامـــع فى الجزيرة أطلق عليه اسم جامع تاجديت [٢١] .

جربة بين الوهبية والخلافيـــة :

ظلت جربة تابعة لسلطة الامام الرستمى بتاهرت فترة طويلة من

=

(١٩) النكار أو النكارية : هم أتباع أبى قدامه يزيد بن فندين الذين أنكروا امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، لأن هذا الاخير رفض الاعتراف بجماعة المشورة (أو مجلس العزابة فى مصطلح الاباضية) التى اقترح ابن فندين أن يسترشد الامام برأيها ، كما أن الاجماع — من وجهة نظر النكارية — لم ينعقد على امامة عبد الوهاب ، ومن المعلوم أن الاجماع شرط من شروط الامامة عند الاباضية ، ولذلك أنكروا امامة عبد الوهاب فسموا بالنكارية ، وقد أطلق أبو زكريا عليهم عدة أسماء مثل : النجوية لأنهم كانوا يجتمعون ويتناجون ، والشغبية لأنهم أدخلوا الشغب فى الاسلام، والنكاثية لنكثهم بيعة الامام بغير حدث . أنظر : أبو زكريا : المصدر السابق ص٥٨ — ٦٠ ، ابن الصغير المالكى : أخبار الائمة الرستميين ، تحقيـــق د. محمد ناصر وابراهيم بحاز ، بيروت ١٩٨٦ ص٤٣ ، انظر كذلك : محمود اسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب ، القاهرة ١٩٨٦ ص١٥٦ .

(٢٠) الشماخى : السير : ص١٦١ .

(٢١) الشماخى : نفس المصدر والصفحة — محمد المرزوقى : مقدمة كتاب مؤنس الاحبة ص٤٧ .

الزمن ، وعلى الرغم من تقلص نفوذ الرستميين فى بعض الأقاليم الشرقية لدولتهم فى أواخر أيام الامام عبد الوهاب ، الا أن جربة كانت من بين المناطق التى لم تخلع طاعة الامام عبد الوهاب خاصة أثناء النزاع الذى نشب بين هذا الاخير وبين خلف بن السمح بن أبى الخطاب عامل جبل نفوسه الذى ولاه أهل الجبل عليهم دون انتظار لموافقة الامام عبد الوهاب . ونشبت عدة معارك بين الولاه الذين بعثهم عبد الوهاب لجبل نفوسة وبين خلف وأنصاره . ولكن هذه المعارك لم تؤد الى حسم هذا الخلاف (أو الافتراق كما يسميه أبو زكريا) . وفى عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب تمكن العباس بن أيوب أحد القادة الرستميين من هزيمة خلف وأتباعه فى معركة تسمى معركة أجناون عشية الخميس ١٣ رجب ٢٢١هـ/٤ يوليو ٨٣٦م ، فانسحب خلف الى مكان يسمى تميتى حيث توفى هناك[٢٣]، أما ابنه المسمى الطيب فقد رحل الى جربه مع بعض أتباعه حيث استقروا بها جنبا الى جنب مع الوهبية (أتباع الامام عبد الوهاب) وعرفوا باسم الخلفية [٢٤] وتشير المصادر الاباضية الى أن أحد حفدة خلف (ولا تذكر لنا أسمه)

---

(٢٢) ابو زكريا : المصدر السابق ص ٨٠ — كذلك انظر : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٥٦٣ .

(٢٣) أبو زكريا : نفس المصدر ص٨٨ .

(٢٤) ابو زكريا : المصدر السابق ص٨٨ — ٨٩ — الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب المعروف بطبقات الاباضية ، تحقيق ابراهيم طلاى ، قسنطينة ١٩٧٤ ، جا ص٧٦ . وقد اشار الدرجينى الى أن حفيد خلف — وليس ابنه الطيب — هو الذى فر الى جربة مع انصار جده حيث أقاموا بعيدين عن المشاركة فى أمور الدولة الرستمية . انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ جـ٢ ص٣٤٧ .

قد شق عصا الطاعة على الرستميين خلال فترة حكم الامام أبى حاتم يوسف بن محمد بن أبى اليقظان (٢٨١ — ٢٩٤هـ/٨٩٤ — ٩٠٦م) ، وقد غادر هذا الحفيد جربة ورحل الى جبل نفوسة فى محاولة لنشر دعوته وكسب تأييد أهل الجبل ، وقد عهد الامام الرستمى لواليه على الجبل أبى منصور الياس بمهمة القضاء على هذا الثائر وأتبـــاعه من قبيلة زواغة[٢٥] • وتمكن أبو منصور الياس من هزيمـــة هذا الحفيد وأتباعه الزواغيين واضطرهم الى العودة لجربة مرة أخرى ، حيث لجأ حفيد خلف الى رجل من زواغة يقال له معقل من بنى مراية ، فأنزله بقصر من قصور جربة يقال له غرداية[٢٦] • وفى نفس الوقت تتبـــع أبو منصور الياس هؤلاء الثائرين الى جزيرة جربة وحاصرهم بها[٢٧]، ثم أرسل أحد أتباعه من بنى يهراسن ومعه مائة دينـــار الى معقل

---

(٢٥) يذكر الدكتور محمود اسماعيل ان يعقوب بن افلح منافس الامام الرستمى أبى حاتم يوسف كان وراء تحرك الخلفية ضد الامام الرستمى ، لان يعقوب اراد اثارة القلاقل فى وجه ابى حاتم عن طريق اثارة زواغة ضد نفوسه اتباع الامام الرستمى • راجع : الخوارج فى بلاد المغرب ص ١٨٠ ، ص١٨١ •

(٢٦) أبو زكريا : المصدر السابق ص ١٠٠ — الدرجينى : المصـــدر السابق جـ١ ص ٨٥ — ٨٦ • ونلاحظ ان غرداية الواردة فى المتن غير مدينة غرداية الواقعة بالصحراء الجزائرية ، وان كانت هذه الاخيرة من مراكز الاباضية فى المغرب الاوسط الآن •

(٢٧) الواقع ان ما قام به ابو منصور الياس من تتبـــع الفارين من الخلفية يعتبر مخالفا لتعاليم المذهب الاباضى التى تحرم تتبع المدبر بشرط الا يكون له مأوى يلوذ به ، ولكن ابا منصور الياس اعتبر ان هؤلاء الفارين من زواغة لهم مأوى بجزيرة جربة ، ولذلك استحل مطاردتهم والاجهـــاز عليهم • راجع : محمود اسماعيل : المرجع السابق ص١٨١ •

الزواغي كي يسلمه حفيد خلف ، ويذكر أبو زكريا أن رسول أبى منصور صار يصب الدنانير فى كم الزواغى ، « فلما أحس الزواغى بالدراهم جعل يسأله عن أحوال الشيخ ويقول له : لو أتيت الى أولادنا لدفعناهم اليك »[٢٨] • وهكذا تمكن أبو منصور من القاء القبض على حفيد خلف والقضاء على ثورة الخلفية فى جربة • ولكن الدعوة الخلفية لم يقض عليها تماما ، مما أقلق مشايخ الاباضية فى المغرب وخاصة جبل نفوسة، ولذلك أرسلوا أحد مشايخهم الى جربة وهو الشيخ أبا مسور سيجا بن يوجين اليهراسانى[٢٩] كي يتمكن عن طريق الاقناع والدعوة من تحويل الخلفية الى الوهبية[٣٠] • وقد بدأ أبو مسور فور وصوله الى جربة فى دعوة أهلها الى الوهبية ، فأجابه بعضـــهم ، ويذكر أبو زكريا أن تنافسا قد حدث بين الشيخ أبى مسور وشخص من زواغة يقال له خلف بن أحمد كان على مذهب النكار فى سبيل تحويل الخلفية اما الى الوهبية أو النكارية « فمن لم يجب أبا مسور أجاب خلف بن أحمد » • وقد تمكن الشيخ أبو مسور عن طريق بذل أموال كثيرة لأهالى جربة من استمالة الخلفية الى مذهبه ، حيث كان الشيخ أبو مسور يمضى بأحمال الدقيق ويطعم الناس كي يرجعوا الى مذهبه « فلم يبق فى الجزيرة على مذهب خلف بن السمح أحدا »[٣١] • وبعـــد أن انتهى

---

(٢٨) ابو زكريا : المصدر السابق ص ١٠٠ — الدرجينى : المصـــدر السابق جـ١ ص١٨٦ • البارونى : الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الاباضية. بدون تاريخ ص٢٧٧ — انظر كذلك : د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص٥٦٣ •

(٢٩) راجـــع ترجمته فى : أبو زكريا : ســـير الائمة ، ص ١٦٥ ، الدرجينى : طبقات المشايخ : جـ١ ص١٥٧ مع ملاحظة ان الدرجينى ينقل ترجمة الشيخ أبى مسور حرفيا من كتاب سير الائمة لأبى زكريا •

(٣٠) أبو زكريا : المصدر السابق ص ١٦٥ •

(٣١) نفس المصدر السابق ص ١٦٥ — ١٦٦ •

أبو مسور من مهمته الاساسية ، تولى ادارة شئون الجزيرة منتهزا فرصة الاضطراب الذى حل بافريقية نتيجة لانهيار دولة الاغالبة ودولة الرستميين على يد الداعى أبى عبد الله الشيعى • وقد تولى أبو مسور أمور الاباضية فى جربة دون انتظار لموافقة شيوخ الاباضية فى جبل نفوسة على تعيينه ، على الرغم أن تعاليم المذهب الاباضى تقضى بألا يتولى أحد ولاية أتباع المذهب الاباضى بدون شهادة الامناء (أى مشايخ الاباضية) ، الا أن أباضية جبل نفوسة أجازوا ذلك بالنسبة لأبى مسور نظرا لشهرته وحب العامة له ، وقد أشار أبو زكريا الى هذه الحادثة بقوله « وحدث أبو الربيع سليمان بن يخلف عن أبى عبد الله محمد بن بكر رضى الله عنهما عن الشيخ أبى نوح سعيد بن زنغيل رضى الله عنه أنه كان اذا سئل عن المشهور الذى تجوز ولايته لمن يتولاه بغير شهادة الامناء الا لشهرته وخبر العامة ، يقول مثل أبى خزر فى افريقية وأبى مسور فى جربة»[٣٢] • وقد اشتهر أبو مسور بعدله وحسن سيرته ولذلك قصد جربة عدد كبير من أتباع المذهب الاباضى عقب سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين[٣٣] • ومما يؤثر عن الشيخ أبى مسور أنه عمد فى عام جدب وقحط الى اطعام أهل جزيرة جربة بأن أرسل ابنه أبا زكريا فيصل الى نفزاوه ليشترى منها التمر على نفقته الخاصة ويوزعها على الناس بجربة ، ولما توجه أبو زكريا فيصل الى نفزاوة اجتمع شيوخها وقرروا امداد جربة بالتمور والطعام دون أن يتقاضوا ثمنه[٣٤] • كذلك فقد بدأ أبو مسور انشاء الجامع الكبير بجربة وذلك فى مطلع القرن الرابع

---

(٣٢) ابو زكريا : المصدر السابق : ص١٦٦ .

(٣٣) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥٦٥ — محمود اسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب ص ٢٣٥ .

(٣٤) ابو زكريا : المصدر السابق ص ١٦٦ .

الهجرى (١٠م) ، ويعرف هذا الجامع الآن باسم جامع أبى مسور على الرغم من أنه توفى قبل بنائه وأكمله ابنه فيصل[٣٥] •

عقب وفاة الشيخ أبى مسور تولى ابنه أبو زكريا فيصل أمور الاباضية فى جربة حتى سقطت فى أيدى الفاطميين عام ٣١١هـ/٩٢٣م عندما أنفذ المهدى عبيد الله أول خلفاء الدولة الفاطمية بالمغرب حملة بحرية بقيادة على بن سلمان الداعى تمكنت من الاستيلاء على الجزيرة وضمها الى دائرة نفوذ الفاطميين[٣٦] • وبرغم ذلك فان الشيخ أبا زكريا فيصل ظل يتمتع بالنفوذ والسلطة على الاباضية بجربة ، ويبدو أن الفاطميين لم يجدوا غضاضة فى ذلك على الرغم من تعيينهم للولاة على الجزيرة ، طالما أن الاباضية لا يثيرون المشاكل فى وجه الفاطميين • ومما يدل على ذلك تلك العلاقة الطيبة التى كانت تربط بين أبى زكريا فيصل ووالى الفاطميين بالجزيرة ، وهناك عدة حوادث أوردها أبو زكريا فى كتابه سير الائمة كلها تشير الى هذه العلاقة ، فعلى سبيل المثال يروى أن عامل الفاطميين على جربة فرض على بنى يهراسن شيئا من الخراج، فتحدث أبو زكريا فيصل معه كى ينقص من مقدار الخراج ، ومازال به حتى أنقصه كما أراد أبو زكريا فيصل ، كذلك قبل عامل الفاطميين على جربة شفاعة أبى زكريا فيصل فى رجل قبض عليه العامل وأطلق سراحه[٣٧] •

وعلى الرغم من استيلاء أبى يزيد مخلد بن كيداد الخارجى النكارى الثائر على الفاطميين على جزيرة جربة عام ٣٣١هـ/٩٤٢م ، وانتشار مذهب النكارية بها ، الا أن الوهبية فى الجزيرة فيما يبدو لم ينضموا

---

(٣٥) محمد المرزوقى : مقدمة كتاب مؤنس الاحبة ص٨٩ •

(٣٦) زامبارر : معجم الانساب والاسرات الحاكمه ص١٠١ •

(٣٧) أبو زكريا : المصدر السابق ص ١٦٧ •

الى حركته نظرا للعداء الشديد بينهم وبين النكارية[٣٨] . ولذلك احتفظ الوهبية وزعيمهم أبو زكريا فيصل بمكانتهم لدى الفاطميين عقب انتهاء ثورة أبى يزيد مخلد عام ٣٣٥هـ/٩٤٦م . وقد عمل الخليفة الفاطمى المنصور (٣٣٤ — ٣٤١هـ/٩٤٥ — ٩٥٢م) على استعادة جزيرة جربة من أيدى النكارية ، فقام فى هذا الصدد بقتل عدد كبير من أصحاب أبى يزيد ، كما أرسل الى أهل جربة عام ٣٤١هـ/٩٥٢م يدعوهم الى طاعته فأجابوه الى ذلك وأخذ منهم رجالا كرهائن[٣٩] .

وقد ظلت جربة خاضعة لنفوذ الفاطميين السياسى أيام الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٣٤١ — ٣٦٥هـ/٩٥٢ — ٩٧٥م) ، وعندما أراد أباضية جبل نفوسة الثورة ضد الفاطميين طلبا لثأر الشيخ أبى القاسم يزيد بن مخلد الوسيانى الذى قتل على يد الفاطميين[٤٠] ، بعثوا أحد مشايخهم وهو « أبو نوح سعيد بن زنغيل » الى جزيرة جربة لاستشارة أهلها فى الخروج على المعز لدين الله ، « وكان مراد العامة منهم طلب الثأر للشيخ ، الا ما كان من أبى صالح اليهراسنى رضى الله عنه ، بأنه كره ذلك وقال لأبى نوح : لا تهيجوا لأنفسكم أهل الخلاف ، فانهم أكثر منكم عددا ومددا وأقوى يدا »[٤١] . وهكذا لم يوافق مشايخ جربة على الثورة ضد الفاطميين ادراكا منهم بضعف

---

(٣٨) مما يدل على شدة العداء بين الطائفتين ان اصحاب ابى يزيد مخلد بن كيداد من النكارية طالبوه بقتال الوهبية أخذا بثار زعيمهم يزيد بن فندين ، فوافقهم على ذلك ولكن بعد الانتهاء من قتال الشيعة الفاطميين . راجع : ابو زكريا : نفس المصدر ص ١١٨ .

(٣٩) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ٨ ص٤٩٧ .

(٤٠) حول الظروف التى ادت الى مقتل الشيخ أبى القاسم الوسيانى راجع : أبو زكريا : المصدر السابق ص١٣٩ — ١٤٠ .

(٤١) نفس المصدر السابق ص١٤٢ .

الاباضية أمام قوة الفاطميين ، وقد أثبتت الحوادث سلامة موقف أهل جربة من الثورة ضد الفاطميين ، حيث لقى أباضية جبل نفوسة الذين ثاروا ضد الدولة الفاطمية هزيمة ساحقة فى موقعة باغاى بالقرب من جبل الاوراس .

أما الشيخ أبو زكريا فيصل فقد ظل على مكانته عند الاباضية بجربة وجبل نفوسة ، وكثيرا ما كان يرسل لعلماء المذهب الاباضى فى جبل نفوسة يستشيرهم فى بعض الامور الفقهية ، ولدينا رواية طريفة عن الشيخ أبى زكريا فيصل فى هذا الشـأن ، حيث علم أن الشيخ أبا خزر يعلى بن زلتاف الوسيانى شيخ الاباضية فى جبل نفوسة قد قرر الرحيل من المغرب الى مصر رفقه المعز لدين الله ، فغادر جزيرة جربة والتقى مع الشيخ الوسيانى وسأله فى ثلاث مسائل فقهية فأجابه فيها[٤٢] . وبالجملة ، فقد تمتع أتباع الوهبية فى جزيرة جربة بمكانة ممتازة بفضل سيرة الشيخ أبى مسور وولده أبى زكريا فيصل ، ويروى فى هذا المجال أن عامل الفاطميين سأل يوما عن الشيخ أبى زكريا فقيل له أنه مات فقال : أمضوا بى الى قبره ، فمضوا به الى قبره فقال : عاش حميدا ومات فقيرا ، اللهم أخلف على جربة بعده »[٤٣] .

جربة والزيريون :

عندما قرر المعز لدين الله الفاطمى الانتقال من المغرب الى مصر عام ٣٦١هـ/٩٧١م ، استخلف على بلاد المغرب قائده بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى ، وقد توارث بنو زيرى ولاية المغرب وحكموها باسم الفاطميين . ولم توضح لنا المصادر وضعية جربة عقب رحيل الفاطميين عن المغرب ، هل خضعت للزيريين أم استقلت عنهم ؟ والواقع أنه ليس

---

(٤٢) نفس المصدر ص١٥٢ .
(٤٣) نفس المصدر ص ١٧٠ .

من السهل الاجابة على هذا السؤال طالما تعوزنا النصوص ، ولكن يمكن القول أن الزيريين الذين استخلفوا على جميع المناطق التى كانت تحت سيادة الفاطميين قد ضموا جربة الى دائرة نفوذهم ، ويؤيد ذلك الظن أن بعض مدن الساحل التونسى مثل المهدية وقابس كانت خاضعة لهم ، وان كان ذلك لا يمنع من القول أن الاباضية بمختلف فرقهم فى جزيرة جربة كانوا يتحينون الفرصة للانفراد بالسلطة فى الجزيرة، ولذلك حدثت عدة مصادمات بينهم وبين السلطة الحاكمة ، ويذكر التجانى أن أحد الخوارج النكارية قام بثورة ضد المعز بن باديس الصنهاجى (٤٠٦ — ٤٥٤هـ/١٠١٦ — ١٠٦٢م) وذلك عام ٤٣١هـ/١٠٣٩م ، وقد رحل هذا الثائر الى جزيرة جربة وتمكن من الاستيلاء عليها « وقتل من أراد من أهلها وسبى ذراريهم وأسر ابن كلدين مقدمهم ثم قتله وصلبه ، فجهز اليه المعز أسطوله وقتل أصحابه قتلة شنيعة واستقرت جربة تحت طاعته »[٤٤] . ولدينا نص لابن عذارى يوضح أن الاسطول الذى استعاد جربة عام ٤٣١هـ من أيدى الثائرين ، انما خرج من جزيرة مالطة التى كانت تابعة فى ذلك الوقت لبنى زيرى ، يقول ابن عذارى : « وفى سنة ٤٣١ دخلت جيوش مالطة جزيرة جربة ففتحتها وقتلت كثيرا من أهلها »[٤٥] .

بيد أن جزيرة جربة لم تستمر طويلا تحت سيطرة الزيريين ، فعقب وفاة المعز بن باديس وتولى ابنه تميم أمور دولة الزيريين ، بدأت مظاهر الضعف والاضطراب تنتاب تلك الدولة نتيجة للغزوة الهلالية لبلاد المغرب . وعلى الرغم من أن جربة كانت من المناطق التى أعلنت خضوعها لتميم بن المعز ، الا أن أموره كانت معتلة فيها وفقا لما يذكره

---

(٤٤) التجانى : رحلة التجانى ص ١٢٥ .

(٤٥) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، بيروت ١٩٨٠ ، تحقيق ليفى بروفنسال و ج.س.كولان ، جا ص ٢٧٥ .

ابن الخطيب[٤٦] . ولذلك ثار أهل جربة « وأظهروا العناد والفساد وأنشأوا مراكب يقطعون بها السبل على البحر على سائر السواحل»[٤٧]. منذ ذلك الوقت بدأت جربة فى الظهور كمعقل من معاقل القرصنة البحرية فى البحر المتوسط ، بحيث سيكون لجربة شأن كبير فى هذا المجال[٤٨].

وقد حاول الامير تميم بن المعز (٤٥٤ — ٥٠١هـ/١٠٦٢ — ١١٠٧م) التصدى لعمليات القرصنة البحرية التى يقوم بها أهل جربة ، خاصة وأنهم كانوا يغيرون على السفن الاسلامية والمسيحية على السواء ودون تمييز مما أدى الى قطع السبل على التجارة الواردة الى المهدية والصادرة عنها[٤٩] . ولذلك ففى عام ٤٩٩هـ/١١٠٦م « وجه السلطان تميم أبا الحسن الفهرى الى جزيرة جربة فى عدد جم وأسطول كبير ، فوجد أهلها قد أخذوا الاهبة له واستعدوا واستمدوا فلم يتم له شىء من أمرها »[٥٠] . وعلى الرغم من فشل تلك الحملة ، الا أن الزيريين لم يتخلوا عن فكرة اخضاع هذه الجزيرة لسيطرتهم الكاملة ، خاصة بعد أن أنشأ أهالى جربة السفن وقاموا بأعمال القرصنة كما سبق القول ،

---

(٤٦) لسان الدين بن الخطيب : اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، القسم الثالث ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادى وابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ١٩٦٤ ص٧٨ .

(٤٧) التجانى : رحلة التجانى ص ١٢٥ .

(٤٨) من المعروف أن المعز بن باديس الصنهاجى انشق عن الخلافة الفاطمية وأعلن تبعيته للخلافة العباسية ، فهل قام الفاطميون بتحريض اهل جربة بالقيام بأعمال القرصنة البحرية ضد الزيريين بالاضافة الى الغارات البرية بواسطة الهلالية ؟؟ .

(٤٩) محمد ابو راس : مقدمة كتاب مؤنس الأحبة ص٦٦ .

(٥٠) ابن عذارى : البيان المغرب جا ص٣٠٣ .

ويذكر التجانى أن أمر جربة واستصلاح أهلها قد استعصى على الامراء الزيريين برغم اتساع ملكهم وكثرة جيوشهم ووفرة أموالهـــم(٥١) . ولذلك فقد جهز الامير أبو الحسن على بن يحيى بن تميم بن المعـــز (٥٠٩ — ٥١٥هـ/١١١٥ — ١١٢١م) حملة بحـــرية قوية عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م بغية اخضاع هذه الجزيرة بالقوة والقضاء على المفسدين بها ، وقد أشار التجانى فى رحلته الى هذه الحملة بقوله : « لما ولى أبو الحسن ابن يحيى بن تميم بن المعز وذلك فى آخر سنة تسع وخمسمائة واستتب له أمره واستوثق ملكه ، أمر باعداد الاساطيل لغـــزو جزيرة جربة ، وحركه فى ذلك ما ترادف عليه من قطع أهلهـــا فى البحـــر واخافتهم المسافرين فيه ، فتم ذلك وقدم على الاسطول قائد الجيش ابراهيم بن عبيد الله وأصحابه من أهل الدولة للمشورة فلانا وفلانا وذلك ســـنة عشر وخمسمائة ، فحاصروها وأخذوا بمخنقها الى أن أقر أهلها بالطاعة للسلطان وانقادوا لأمره ونزلوا على حكمه ، وضمن شياخهم ومقدموهم قطع جميع الفساد الواصل الى ساحل افريقية من قطاعهم وأشرارهم ، وأن لا يتعدوا بمتاجرهم المهدية وأعلم السلطان بذلك ، فكف عنهـــم ورجع الاسطول وصلح البحر وارتفع الفساد وآمن المسافرون »(٥٢) . وقد هنأ الشاعر ابن حمديس الصقلى الامير على بن يحيى بهذا الفتح فى قصيدة طويلة يقول فى بعض أبياتها :

لأمر أدمت الحصـــر فى حرب جـــربة
وما حربهـــا الا مداومة الحصـــر

---

(٥١) التجانى : رحلة التجانى ص١٢٦ .

(٥٢) نفس المصـــدر السابق ص ١٢٥ — ١٢٦ — انظـــر كذلك : ابن عذارى : البيان المغرب جـ١ ص٣٠٦ الذى يشير الى ان هذه الغزوة تمت فى شهر جمادى الاولى عام ٥١٠هـ ، أما ابن خلدون (العبر جـ٦ ص٣٧٤) فيذكر أن هذه الغزوة تمت فى عام ٥٠٩هـ .

وتركك بالزرق اللهـاذم أهلهـا

وبالبيض صرعى فى الجزيرة كالجزر

وما ضـويقوا من قبـل هذا وانما

بقـدر التهاب النـار تغلية القدر[٥٣]

ومن الواضح — طبقا لنص التجانى — أن هذه الحملة كان الهـدف منها تأديب أهل جربة والقضاء على أوكار ومعاقل القرصنة البحـرية بهـا ، بحيث خضـعت جربة لسيطرة الزيريين واستمرت كذلك حتى استولى عليها النورمان عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م .

جربة والغزو النورمانى[٥٤] :

كان لسقوط صقلية فى أيدى النورمان سنة ٥٢٩هـ أثر كبير على الاحداث فى منطقة شمال افريقيا وبلاد المغرب ، فقد ارتبطت صقلية

---

(٥٣) ابن حمديس الصقلى : ديوان ابن حمديس ، تحقيق د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ص٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٥٤) المقصود بالنورمان (أو النورثمن Northmen) مجموعة الشعوب التى سكنت شبه جزيرة اسكندناوه ، وهم ثلاثة شعوب : السويديون ، والنرويجيون والدانمركيون ، اصلهم من العنصر الجرمانى أو التيوتونى ، وكان النورمان امة بحرية شنوا العديد من الغارات على غرب اروبا وغرب الاندلس ، وقد استقر قسم منهم فى غرب فرنسا فى الجزء الذى عرف فيما بعد باسم نورماندیا وذلك على عهد زعيمهم «رولو» Rollo وذلك عام ٩١١م ، حيث اعتنقوا المسيحية بعد ذلك وتركوا ديانتهـم الوثنية . وقد اشتهر النورمان بحبهم للمغامرة والتوسع ، ولذلك فقد سار قسم منهم الى انجلترا واستولوا عليها أيام ملكهم وليم الفـاتح (١٠٣٥ — ١٠٨٧م) واستقروا هناك ، فى حـين اتجه قسم آخر الى جنوب ايطاليـا الذى كان يمـوج بالاضطرابات والفتن ، وتتنازع عدة قوى للسيطرة عليه مثل البيزنطيـين =

بهذه البلاد بسبب موقعها الجغرافى والطبيعى ، وبسبب بعض التطورات التاريخية ، فمن بلاد المغرب غزا المسلمون صقلية ، والى بلاد المغرب رحل كثير من أهل صقلية المسلمين عقب سقوط صقلية فى أيدى النورمان[٥٥] . وكانت جزيرة جربة منذ القديم منطقة صراع بين حكام السواحل الشمالية والجنوبية للقسم الغربى من حوض البحر المتوسط لاسيما من جانب حكام جنوب ايطاليا وصقلية . وقد أزدادت حدة هذا الصراع عقب استيلاء النورمان على صقلية . وكان روجر الثانى (١١١٣ — ١١٥٤م/٥٠٦ — ٥٤٩هـ) يحاول بشتى الطرق أن يجد لنفسه موضعا لقدم على السواحل التونسية ، وكانت جربة هى المكان المناسب له بفضل موقعها الجغرافى وسط البحر وقربها من السواحل التونسية ، ويستطيع اذا تمكن من الاستيلاء عليها أن يتخذها رأس جسر لعملياته المقبلة ضد بقية مدن ساحل شمال افريقيا ، كما يمكنه التحكم فى التجارة البحرية فى هذا الجزء من البحر المتوسط . وقد

= واللمبارديين والمسلمين ، وقد تمكن النورمان أن يجدوا لأنفسهم موضعا لقدم فى جنوب ايطاليا عندما اسسوا مدينة افرسا Aversa عام ١٠٣٠م ، وتولى افراد أسرة هوتفيل Houteville حكم النورمان فى جنوب ايطاليا . وقد تمكن روجر الاول بمساعدة اخيه روبرت جيسكارد من الاستيلاء على صقلية وانتزاعها من أيدى المسلمين وذلك عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م . ومن صقلية أخذ النورمان يشنون هجماتهم على السواحل التونسية المقابلة مثل جربة والمهدية وطرابلس . راجع : د. سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٨١ (الطبعة الثامنة) ج١ ص٣٢٧ — ٣٣٢ — د. محمد محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية فى اوربا فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص٣٠٧ — ٣٢٠ .

(٥٥) اومبرتو ريتشيتانو : النورمنديون وبنو زيرى من الفتح النورمندى لصقلية حتى وفاة روجر الثانى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الحادى عشر ، الجزء الاول ١٩٤٩ ص١٩٢ — ١٩٣ .

ساعدت الظروف النورمان على تحقيق ذلك ، فجزيرة جربة كانت تخضع اسميا للزيريين الذين كانوا يعانون من الضعف ، بالاضافة الى انشغالهم بصراعهم ضد بنى عمومتهم بنى حماد ، كذلك استغل روجر الثانى التحاق جرجس بن ميخائيل الانطاكى فى خدمته ، وعهد اليه بمهمة مهاجمة السواحل التونسية — ومن ضمنها جربة — • ومن المعروف أن جرجس هذا كان قد عمل لدى الامير تميم بن المعز أمير الزيريين فترة من الوقت ، ثم رحل من المهدية الى صقلية حيث دخل خدمة روجر الثانى الذى استغل معرفة جرجس باللغة العربية وخبرته بالسواحل التونسية وعهد اليه بقيادة الاساطيل النورماندية المغيرة على السواحل التونسية • وتجمع المصادر العربية على أن روجر الثانى أرسل اسطوله لغزو جزيرة جربة عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م(٥٦) ، ولا بأس هنا أن نورد نص ابن الاثير حول هذا الهجوم النورماندى على جزيرة جربة نظرا لأهميته وكثرة التفصيلات التى يوردها ، يقول ابن الاثير : « كانت جزيرة جربة قد استوت فى كثرة عمارتها وخيراتها، غير أن أهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان ، ويعرفون بالفساد وقطع الطريق ، فخرج اليهم جمع من الفرنج أهل صقلية فى أسطول كثير وجم غفير ، فيه من مشهورى فرسان الفرنج جماعة ، فنزلوا بساحتها وأداروا المواكب بجهاتها ، واجتمع أهلها وقاتلوا قتالا شديدا ، فوقع بين الفريقين حرب شديدة ، فثبت أهل جربة ، فقتل منهم بشر كثير ، فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة ، وغنموا أموالها وسبوا نساءها

---

(٥٦) ابن الاثير : الكامل جا١١ ص٣٢ — التجانى : رحلة التجانى : ص١٢٦ — ابن خلدون : العبر ج٦ ص٣٧٤ . النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب ، القسم الخاص بالمغرب تحقيق مصطفى ابو ضيف ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ ص٣٦٨ . اما ابن عذارى فيذكر ان غزو جربة تم عام ٥٣٠هـ . البيان المغرب ، جا ص٣١٢ .

وأطفالها ، وهلك أكثر رجالها ، ومن بقى منهم أخذوا لأنفسهم أمانا من رجار ملك صقلية ، وافتكوا أسراهم وسبيهم وحريمهم »[٥٧] .

ويتضح من النص السابق أن أهالى جربة قاوموا الغزو النورماندى قدر استطاعتهم ، ولكن هذه المقاومة لم تجد شيئا أمام تفوق الاسطول النورماندى ، كما يوضح النص أيضا أن أهالى جربة استعادوا أسراهم بعد أن أخذوا أمانا لأنفسهم من روجر الثانى صاحب صقلية .

على أية حال خضعت جربة لسيطرة النورمان الذين تركوا بهـا حامية عسكرية كبيرة ، كما اتخذوا من سواحلها مرفأ لسفنهم وأساطيلهم . والواقع أن سير الاحداث فى الاعوام التالية يدل على أن احتلال جربة كان جزءا من خطة وضعها روجر الثانى لاحتلال السواحل التونسية والجزائرية[٥٨] . فمن هذه الجزيرة (جربة) سدد الاسطول النورماندى ضرباته الى جيجل[٥٩] عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م ، ثم شن هجوما عنيفا على الموانىء الصغيرة الموجودة بين شرشال وتنس ، ثم استولى على جزيرة

---

(٥٧) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١١ ص٣٢ . النويرى : نهـاية الارب ص٣٦٨ ، ويكاد نص النويرى يتطابق مع نص ابن الاثير السالف مما يرجح انه ينقل عنه هذا الخبر .

(٥٨) عزيز أحمد : تاريخ صقلية الاسلامية ، ترجمة أمين توفيـق الطيبى ، ليبيا ١٩٨٠م ، ص٦٧ .

(٥٩) جيجل : مدينـة حصينة من مدن الساحل الشرقى للجـزائر ، لا تبعد كثيرا عن مدينة بجاية (حوالى ٥٠ ميلا) ، اشتهرت بانتاج التفاح والكروم والفواكه ، وقد سكنها أقوام من قبيلة كتامة اعتمد عليهم أبو عبد الله الشيعى داعى الفاطميين فى المغرب عند بداية دعوته للشيعة الفاطمية . راجع : مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الامصار ، تحقيق د. سعد زغلـول عبد الحميد ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص١٢٨ ، الحميرى : الروض المعطار ص١٨٤ .

قرقنه[٦٠] عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، وأخيرا طرابلس الغرب عام ٥٤١هـ/ ١١٤٧م[٦١] .

ولكن أهل جربة لم يستسلموا للاحتلال النورماندى لجزيرتهم وان تأخر تنظيم حركة المقاومة نحو عشرين عاما ، فقاموا فى عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م بثورة كبرى ضد هذا الاحتلال ، وقد أورد التجانى بعض التفصيلات المفيدة حول ثورة أهل جربة تلك ، فيذكر أنه فى عام ٥٤٨هـ « ثار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كثيرة فغزاهم النصارى من عامهم وتغلبوا على الجزيرة ثانية فنقلوا أكثر أهلها سبايا الى بلادهم ولم يبقوا الا من لا بال له »[٦٢] . ومن الواضح أن ثورة أهل جربة كانت عنيفة وأنهم تمكنوا من قتل عدد كبير من النورمان ، الا أن هؤلاء تمكنوا من استعادة سيطرتهم على الجزيرة بعد أن نكلوا بأهلها، كما قاموا بنقل العديد من سكانها الى صقلية واسترقوهم وباعوهم عبيدا فى أسواقها[٦٣] . ولكن جربة لم تستمر طويلا فى قبضة النورمان

---

(٦٠) جزيرة قرقنه (وتسمى سرسناى فى العصر القديم) : جزيرة تقع فى عرض البحر أمام مدينة صفاقس وصفها الحميرى بأنها عامرة بأهلها وليس بها مدينة وتشتهر بزراعة الكروم . راجع : البكرى : المغرب ص ٢٠، ص٨٥ ، الحميرى : المصدر السابق ص٤٦١ .

(٦١) ابن الاثير : المصدر السابق جـ١١ ص١٠٦ .

(٦٢) التجانى : المصدر السابق ص١٢٦ .

(٦٣) من الشخصيات الاسلامية التى اسرها النورمان واصطحبوها معهم الى صقلية شخصية القائد احمد الصقلى ، وهذا القائد أصله من قبيلة صدغيان الموطنين بجربة من سدويكش ، وقد استخلصه روجر الثانى صاحب صقلية لنفسه واعتنى به ، فلما توفى روجر الثانى خشى احمد الصقلى على نفسه من بطش الملك وليم الاول الذى خلف اباه فى حكم صقلية ، ففر الى تونس حيث انضم الى الموحدين ، وقد اهتم الخليفة الموحدى =

حيث خرجت عن أيديهم عام ٥٥١هـ/١١٥٦م[٦٤] • ولم يحاول النورمان التفكير فى استعادتها نظرا لانشغالهم بالصراع ضد كل من البيزنطيين والامبراطور فريدريك الاول (بربروسا)[٦٥] ، كما أن ظهور الموحدين على مسرح الاحداث ، ووصول الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على الى المغرب الاوسط لتطهير السواحل التونسية من يد النورمان ، كل ذلك أدى الى عودة جربة وغيرها من مدن الساحل التونسى الى حظيرة الاسلام ، وقد عين عبد المؤمن بن على على جربة من يقوم بأمورها تحت اشراف والى تونس[٦٦] •

جربة فى عهد الموحدين :

منذ أن استعاد عبد المؤمن بن على سواحل افريقية والمغـرب الاوسط من أيدى النورمان ، استقاءت هذه البلاد للموحدين ، بيد أن المصادر لا تذكر لنا شيئا عن جربة فى ظل الموحدين ، مما يدل على خضوعها لهم تماما • ولكن حدث فى عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م فى أواخر عهد الموحدين أن تعرضت الجزيرة لهجوم بحرى من قبل اسطول صقلية ، وقد اختلف الباحثون حول الدافع وراء هذا الهجوم ، فقد ذكر البعض أن الامبراطور فريدريك الثانى قام بحملته تلك لأنه كان يرمى الى

= أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بهذا القائد وقلده أمر اساطيله ، فكانت له مواقف مشهودة فى الجهاد ضد النصارى . راجع : ابن خلدون : مقدمة كتاب العبر ص٢١٣ د.أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغـرب والاندلس ص٣٤٦ •

(٦٤) ابن الاثير : الكامل جـ١١ ص٢٠٣ .

(٦٥) حول الصراع بين وليـم ملك صقلية والبيزنطيين والامبراطورية الغربية راجع : محمد محمد مرسى الشيخ : الممالك الجرمانية ص٣٢٨ — ٣٢٩.

(٦٦) التجانى : المصدر السابق ص١٢٦ .

ضمان سوق لتصدير الحبوب الصقلية ، ومنافسة الجمهوريات الايطالية فى المعاملات التجارية(٦٧) • فى حين ذهب البعض الآخر الى أن حملة فريدريك على جربة كان الغرض منها الانتقام من مسلمى جربة وشمال افريقيا الذين مدوا يد المساعدة للمسلمين فى صقلية الذين أشعلوا نيران الثورة ضد الامبراطور فريدريك(٦٨) ، وقد اضطر هذا الاخير فى الفترة ما بين ٦١٩هـ/١٢٢٢م و ٦٢١هـ/١٢٢٤م الى اتخاذ اجراءات عنيفة ضد مسلمى صقلية حتى أجبرهم على الاستسلام ، حيث قام بترحيلهم الى مدينة لوشره Lucera فى مقاطعة أبوليا Apulia • وقد قام أسطول فريدريك بحملته السالفة على جربة وعاث فسادا فيها حيث قتل العديد من الرجال والنساء ، كما قام بنقل الكثير من سكانها الى لوشره(٦٩) ثم عاد الاسطول الى صقلية بعد أن خرب جربة •

جربة والحفصيون :

انتقلت تبعية جربة للحفصيين عندما تمكن هؤلاء من الاستقلال ببلاد افريقية عن الموحدين وذلك عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م على يد أبى زكريا يحيى بن أبى محمد بن أبى حفص ، وظل ولاة الحفصيين يحكمون الجزيرة • ويبدو أن حملة فريدريك الثانى التى أشرنا اليها قد نالت كثيرا من عزيمة أهل جربة ، فمالوا الى الاستكانة لسلطة الحفصيين ، ولكن الى حين ، فقد حدث فى عام ٦٨١هـ/١٢٨٣م أن خلع أهل جربة وقابس طاعة السلطان الحفصى أبى اسحاق ابراهيم بن يحيى (٦٧٨ —

---

(٦٧) روبرت برنشفيك : تاريخ افريقية فى العهد الحفصى ، جا ص٥٥ •

(٦٨) حول ثورة مسلمى صقلية بزعامة محمد بن عباد ضد الامبراطور فريدريك الثانى راجع : الحميرى : الروض المعطار (مادة انطاله) ص ٤٠ — ٤١ •

(٦٩) عزيز احمد : تاريخ صقلية الاسلامية ، ص٩٦ •

٦٨١هـ/١٢٧٩ — ١٢٨٣م) وأرسلوا ببيعتهم الى أحمد بن مرزوق بن عمارة المسيلى الذى أدعى أنه الامير الفضل بن يحيى الواثق الحفصى ، وقد ظلت جربة تحت طاعة هذا الدعى حتى استولى عليها الاراجونيين عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م[٧٠] .

سقوط جربة فى أيدى الاراجونيين :

تأثرت جربة تأثرا شديدا بتغير الاوضاع السياسية والحربيـة فى حوض البحر المتوسط وجنوب ايطاليا فى نهاية القرن السابع الهجرى (١٣م) ، فقد عملت مملكة أراجون على بسط سيطرتها على هذا الجزء من البحر المتوسط ، بالاضافة الى رغبة ملوكها — وخاصة بدرو الثالث Pedro III — فى بسط نفوذهم على جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا . ولاشك أن العامل الاقتصادى كان الباعث الاول لهذه التغـيرات ، فأراجون كقوة بحرية كبرى ، لها مصالح تجارية قوية مع دول البحـر المتوسط ، وتلقى منافسة شديدة فى هذا المجال من الجمهوريات الايطالية، كانت ترغب فى كسب مواقع استراتيجية لها على سواحل البحر المتوسط. وقد أدى ذلك الى اصطدامها بجيرانها من المسلمين والمسيحيين على السواء . ولتحقيق سياسة أراجون التوسعية ، رأى بدرو الثالث أن يتخـذ عدة اجراءات لذلك ، فبدأ أولا بمصاهرة الامير مانفريد دى هوهنشتوفن صاحب صقلية وجنوب ايطاليا حيث تزوج ابنته الاميرة كونستانس[٧١] ، فلما ماتت هذه الاميرة طالب بدرو الثالث بارث زوجته

---

(٧٠) راجـــع : ابن خلـــدون : العبر جـ٦ ص٣٠٢ — ابن القنفـــذ القسنطينى : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلى النيفر وعبد المجيـــد التركى ، تونس ١٩٦٨ ص١٤١ — ١٤٤ — الزركشى : (ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤى) ، تاريخ الدولتـــين الموحدية والحفصية ، تونس ١٢٨٩ ص ٣٥ .

(٧١) د. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ١ ص٥٥٩ .

فى صقلية التى سبق أن استولى عليهـا شارل دانجو عام ١٢٦٦م/٦٦٤هـ بمساعدة البابا كليمنت الرابع[٧٢] (١٢٦٥ — ١٢٦٨م/٦٦٣ — ٦٦٧هـ) . وقد أدرك بدرو الثالث ملك أراجون أنه اذا أراد الوصول الى هدفه فى ضم صقلية الى تاج أراجون ، فانه يتعين عليه الدخول فى مواجهة مسلحة مع آل آنجو ، ولذلك عول على أن يجد لنفسه موضعا لقدم على سواحل افريقية القريبة من صقلية . وقد حاول بدرو الثالث بشتى الطرق الوصول الى ذلك ، فقد ساعد القائد أبا بكر بن الوزير والى قسنطينة فى ثورته ضد السلطان الحفصى أبى اسحاق ابراهيم ابن يحيى (٦٧٨ — ٦٨١هـ/١٢٧٩ — ١٢٨٣م) ، ثم هاجم أسطوله مدينة القل على الشاطىء الجزائرى عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م لمساعدة القائد ابن الوزير[٧٣] . ولكن الظروف سرعان ما تغيرت لصالح ملك أراجون الذى استولى على صقلية وانتزعها من يد آل آنجو وذلك عام ١٢٨٢م. بيد أن أطماع بدرو الثالث لم تقف عند هذا الحد ، بل أراد أن يستكمل خطته الرامية الى بسط سيطرته على غرب البحر المتوسط وذلك عن طريق

---

(٧٢) من المهم أن نوضح هنا أن البابوية كانت قد خرجت فى هذه الفترة ظافرة فى نزاعها الطويل الذى استمر فترة طويلة مع اباطرة الدولة الرومانية من اسرة هوهنشتوفن ، وبالتالى اعتبرت البابوية نفسها قيمة أو وصية على اراضى هؤلاء الاباطرة فى جنوب ايطاليا وصقلية — ولكن مانفرد دى هوهنشتوفن رفض الاعتراف بمطلب البابوية ، مما دفع البابوية الى عرض مملكة صقلية على شـارل دآنجو Charles D'Anjou ليحكمها كتـابع للبابوية ، وقد قبل شارل هذا العرض وغزا صقلية وقتل مانفرد وحكـم الجزيرة ، وقد ظلت صقلية تحت حكم آل آنجـو حتى استولى عليها بدرو الثالث ملك أراجون عام ١٢٨٢م . راجع : د. سعيد عاشور : أروبا العصور الوسطى جـ١ ص٥٥٩ — ٥٦٠ .

(٧٣) راجع : ابن خلدون : العبر : جـ٦ ص ٣٠٠ — ٣٠١ — ابن القنفذ: الفارسية ص١٣٩ .

الاغارة على ممتلكات الحفصيين الذين لم يعترفوا بسيادة أراجون على صقلية وذلك نظرا للصداقة العميقة التى كانت تربطهم بآل آنجـو أصحاب صقلية وجنوب ايطاليا السابقين[٧٤] . وعلى ذلك فقد سمح حاكم مسينا الامير خايمى الصقلى (الذى تولى عرش أراجون فيما بعد باسم خايمى الثانى) للقـائد البحرى القطلانى روجـير دى لوريا Roger de Lauria بشن هجوم بحرى كبير على جزيرة جربة التونسية عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م . والواقـع أن أحوال الدولة الحفصية فى ذلك الوقت ، وما كان يعتريها من مظاهر الضعف نتيجة للصراع الدائر بين الامراء حول العرش ، بالاضافة الى ضعف تحصينات جزيرة جربة من ناحية وكثرة خيراتها من ناحية أخرى ، كل ذلك جعل جربة هدفا سهل المنال بالنسبة للاراجونيين[٧٥] . زد على ذلك أهمية موقع الجـزيرة بالنسبة للساحل التونسى حيث يمثل هذا الموقع قاعدة بحرية جيـدة للتجارة أو للقرصنة[٧٦] .

وتصور الروايات المسيحية عملية غزو روجير دى لوريا لجربة على أنها تمت بمبادرة فردية منه ولحسابه الخاص ، برغم أنه حصل على موافقة الامير خايمى أمير صقلية ، فقد دفع دى لوريا نفقـات وتسليح وتجهيز عشرين سفينة بجنودها من ماله الخاص[٧٧] . وقد هاجم دى لوريا جزيرة جربة مرتين : الاولى فى مارس ١٢٨٤م/محرم

---

(٧٤) روبرت برنشفيك : تاريخ افريقية فى العهـد الحفصى : جـ١ ص١٢٤ .

(٧٥) DuFourcq (Charles-Emmanuel) : L'Espagne Catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles, Paris 1966, p. 264.

جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية جـ٢ ص٨٣ .

(٧٦) روبرت برنشفيك : المرجع السابق جـ١ ص ١٢٥ .

(٧٧) نفس المرجع السابق والصفحة .

٦٨٣هـ حيث استولى على الكثير من الغنائم ، كما أسر عددا من سكانها المسلمين[٧٨] . وبرغم ذلك فلم يؤد هذا الهجوم الى الاستيلاء على الجزيرة بفضل حصانتها الطبيعية نظرا لكثرة تعرج سواحلها ، كذلك قاوم أهل جربة الاسطول القطلانى مقاومة عنيفة تحت قيادة مرغم بن صابر زعيم قبيلة دباب ، ولكن القطلانيين تمكنوا من أسر مرغم ، وأرسل الى صقلية ثم الى برشلونة[٧٩] . وتستطرد الرواية المسيحية فتقول أن هجوم دى لوريا على جربة توقف فترة من الوقت (من مارس حتى سبتمبر — أكتوبر من نفس العام) وأن هذا التوقف كان سببه تلك المفاوضات التى جرت بين أهالى جربة والقائد دى لوريا ، وقد طلب الجربيون الامان من بدرو الثالث ، كما طلبوا الافراج عن مرغم بن صابر . وعلى الرغم أن مرغم عرض على القطلانيين أربعة عشر ألف دينار كفدية له ، الا أن هذه المفاوضات لم تسفر عن شىء .

المرة الثانية تمت فى نهاية شهر سبتمبر وبداية أكتوبر ١٢٨٤م/ رجب — شعبان ٦٨٣هـ حينما عاود دى لوريا الهجوم على جربة ، وتعترف المصادر المسيحية بقسوة هذا الهجوم ، حيث لم يرحم دى لوريا امرأة ولا طفلا رضيعا ، وعندما حاول بعض سكان الجزيرة مغادرتها الى الساحل التونسى ، قطع أسطول دى لوريا عليهم الطريق ، فوقعوا أسرى فى أيدى القطلانيين الذين أرسلوهم الى صقلية حيث بيعوا هناك كعبيد ، أما الذين بقوا فى جربة فقد عاملهم القطلانيون كرقيق[٨٠] .

---

(٧٨) ذكر مونتانر **Muntaner** فى حوليته أن عدد الاسرى المسلمين بلغ عشرة آلاف أسير مسلم ، وهذا الرقم مبالغ فيه بلا شك . راجع :
Dufourcq, op. cit. p. 265 et note No. 4.

(٧٩) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص٣٠٨ .

(٨٠) روبرت برنشفيك : المرجع السابق جـ١ ص ١٢٥ —

أما الرواية الاسلامية فلا تمدنا الا بتفصيلات قليلة ، كما أن هناك اختلافا فيما بينها حول تاريخ حملة دى لوريا على جربة ، فابن القنفذ القسنطينى يذكر أن تاريخها هو ٦٨٣هـ أى نفس التاريخ الذى ذكرته المصادر والمراجع المسيحية ، حيث يقول « وفى السنة التى بويع فيها أبو حفص (هو السلطان أبو حفص عمر بن يحيى الواثق ٦٨٣هـ — ٦٩٤هـ/يوليو ١٢٨٤ — أكتوبر ١٢٩٥م) وهى سنة ثلاث وثمانين وستمائة أخذ النصارى جزيرة جربة ، وأسروا من الشاب القوى والشابة الحسناء ثمانية آلاف وقتلوا الصغار ونهبوا الامتعة والاموال والزيت والزبيب ، فحملوا الى سفنهم التى هى نحو السبعين وفى سفن الجزيرة التى هى نحو الثلاثين »(٨١) .

أما التجانى فبرغم أنه كان طفلا عندما وقع غزو جربة ، وبالتالى فهو قريب جدا من الحوادث ، فقد ذكر أن هذه الغزوة وقعت عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م حيث قال « وكان تغلبهم عليها فى هذه المدة الاخيرة سنة ثمان وثمانون وستمائة بسبب انشغال ملك الحضرة اذ ذاك رحمه الله ببعض الثائرين »(٨٢) . أما ابن خلدون فيذكر نفس التاريخ الذى ذكره التجانى وأورد بعض التفصيلات التى لم ترد فى المصادر العربية الاخرى حيث يقول : « كان من أعظم الحوادث تكالب العدو فى أيام هذا السلطان (أبو حفص عمر) على الجزر البحرية ، فاستوت أساطيلهم على جزيرة جربة فى رجب سنة ثمان وثمانين (٦٨٨هـ) ورياستها يومئذ من محمد بن سمومن شيخ الوهبية ويخلف بن امغار

= Dufourcq : op. cit. P. 265. وقد نقل كل من برنشفيك وديفورك معلوماتهما من الحوليات الجنوية Annales Januenses ، الجزء الثامن ص١٣٧ — ١٣٨ .

(٨١) ابن القنفذ القسنطينى : الفارسية ص١٤٩ — ١٥٠ .

(٨٢) التجانى : رحلة التجانى : ص١٢٦ .

شيخ النكارية وهى فرقتا الخوارج ، وزحف اليهــا المراكيا صاحب صقلية نائبا عن العدريك بن البريداكون ملك برشلونة شاطئة البحر ، وكانوا فيما قيل سبعين اسطولا من غربان وشوانى وضايقهم مرارا ، ثم تغلبوا عليها ، فانتهبوا أموالها وحملوا أهلها أسرا وسبيا ، فقيل أنهم بلغوا ثمانية آلاف بعد أن رموا بالرضف فى الجيوب »[٨٣] .

ومن الواضح أن رواية ابن خلدون لا تختلف كثيرا عن رواية ابن القنفذ القسنطينى الا فى مسألة تاريخ هذه الغزوة ، وان امتازت رواية ابن خلدون عن غيرها من الروايات الاسلامية بكثرة تفصيلاتها ، فقد أشارت الى أن رئاســة جزيرة جربة كانت موزعة بين الوهبية والنكارية ، كما ذكرت أيضا أن غزو جربة تم على يد حاكم صقلية ، وهذا ما تحاول الرواية المسيحية نفيه والادعاء بأن هذا الهجوم تم بمبادرة شخصية من القائد دى لوريا .

أما اذا ما قارنا بين الروايتين المسيحية والاسلامية ، فيمكننا القول أن الاختلاف بينهما يكاد يكون قليلا ، اذ أننا لو طرحنا جانبا مسألة تاريخ هذه الغزوة (هل ٦٨٣هـ أم ٦٨٨هـ ؟) لوجدنا أنهما تتفقان على أن الهجوم على جربة قد تم بواسطة اسطول قطلانى وقائد قطلانى وبموافقة حاكم صقلية الاراجونى الامير خايمى ابن الملك بدرو الثالث، كما تتفق الروايتان على ذكر الاعمــال الوحشية التى ارتكبها رجال الاسطول القطلانى ضد أهالى جربة ، وحمل عدد كبــير من الرجال والنساء من أهلهــا الى صقلية حيث بيعوا هنــاك كرقيق . أما عن الاختلاف بين هاتين الروايتين فيتمثل فى أن الرواية المسيحية أشارت الى أن عدد الاسرى بلغ عشرة آلاف فى حين أن الرواية الاســلامية اكتفت بثمانية آلاف ، والرواية المسيحية تلقى تبعة هذه الحملة على

(٨٣) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٣٠٥ ، ص٣٧٤ .

كاهل دى لوريا شخصيا ، فى حين أن الرواية الاسلامية تشير صراحة الى أن هذا الهجوم تم على يد حاكم صقلية ، وهنـــاك اختلاف آخر ويتمثل فى عدد السفن القطلانية التى شارت فى الهجوم على جربة فالحوليات الجنوية أشارت الى أن عدد هذه السفن حوالى عشرين فى حين أن ابن القنفـــذ نص على أن عدد سفنهم بلـــغ سبعين سفينة بالاضافة الى ثلاثين استولوا عليها من أهل جربة .

وكيفما كان الامر ، فان الروايتـــين تكمـــل كل منهما الاخرى ، ولا يبق الا مسألة الاختلاف حول تاريخ هذه الغزوة ، وان كنا نميل الى الاخذ بالتاريخ الذى ذكرته الرواية المسيحية على أســـاس أن ابن القنفذ القسنطينى قد أيد ذلك التاريخ أيضا وهو ٦٨٣هـ ، كما أن أحوال الدولة الحفصية فى هذا العام بالذات كانت مضطربة ، فقـــد استولى الدعى ابن أبى عمارة على تونس حاضرة الحفصيين بعد أن هزم السلطان الحفصى أبا اسحاق ابراهيم وابنه الامير أبا فارس ، ولكن الامير أبا حفص (السلطان فيما بعد) ابن السلطان أبى اسحاق ابراهيم تصدى لهذا الدعى ودخل فى عدة معارك معه حتى استطاع القضاء عليه فى ربيع الآخر عام ٦٨٣هـ/يونيو ١٢٨٤م . وبالطبع لم يكن الملك بدرو الثالث ملك أراجون بعيدا عن تلك الحوادث[٨٤] ، وأراد أن يستغل تلك الظروف الصعبة التى تمر بهـــا دولة الحفصيين لتحقيق أهدافه التى سبق أن أشرنا اليها .

جـــربة وأســـرة دى لوريا :

بعد أن تمكن القائد روجير دى لوريا من احتلال جربة ، اتخذ

---

(٨٤) سبق أن أشرنا الى تدخل بدرو الثالث الى جانب ابن الوزير الثائر بقسنطينة ضـــد السلطة الحفصية ، والهجـــوم الذى شنه أسطول اراجون ضد مدينة القل الجزائرية .

عددا من الاجراءات التى تمكنه من بسط سيطرته على الجزيرة تماما ، ومن أهم هذه الاجراءات بناؤه لحصن ضخم على الساحل الجنوبى الشرقى لجربة عند مدخل مضيق القنطرة وشحنه بالرجال والسلاح ، هذا الحصن عرف فى المصادر العربية باسم القشتيل (من الكلمة الاسبانية Castillo بمعنى حصن) • وقد أشادت هذه المصادر بقوة ومنعة هذا الحصن ، فالتجانى — الذى شاهد هذا الحصن بنفسه — يصفه بقوله « يهول الناظر اتقانا وحصنا ، وهو مربع الشكل وفى كل ركن منه برج ، فاثنان منهما مستديران واثنان مثمنان وبين كل برجين من هذه فى وسط الحائط برج صغير مربع ويدور به فيصل صغير ويدور بجميع ذلك حفر متسع »(٨٥) • ولا يختلف وصف ابن خلدون لهذا الحصن كثيرا عن وصف التجانى(٨٦) • كما ألزم دى لوريا سكان جزيرة جربة بأن يؤدوا له مائة ألف دينار سنويا كجزية(٨٧) •

ولاشك أن استيلاء القطلانيين على جزيرة جربة كان له انعكاسات مهمة على العلاقات السياسية بين أراجون وتونس، فقد عمل الاراجونيون على توطيد سلطتهم على هذه الجزيرة كى تصبح نقطة ارتكاز لحماية مصالحهم سواء فى صقلية أو على السواحل التونسية • ولما كانت هذه المصالح فى أغلبها تجارية ، فانه وفى ظل المنافسة الشديدة بين أراجون والجمهوريات الايطالية ، استغل بدرو الثالث هذا الوضع الجديد وقرب قواته من الشاطىء التونسى ، فى الضغط على السلطات الحفصية ليحصل على مزيد من الامتيازات للتجارة الاراجونية فى الاراضى التونسية • ويتجلى ذلك الضغط بصورة واضحة فى المعاهدة التى أبرمها مع السلطان الحفصى أبى حفص عمر فى السابع والعشرين من ربيع الاول عام

---

(٨٥) التجانى : المصدر السابق ص١٢٨ •

(٨٦) ابن خلدون : العبر ج٦ ص٣٠٦ ، ص٣٧٤ •

(٨٧) نفس المصدر السابق ص٣٠٦ •

٦٨٤هـ/الثانى من يونيو ١٢٨٥م (أى بعد احتلال الجزيرة بعدة أشهر) ، هذه المعاهدة اشتملت على أربعة وأربعين بندا أعطت العديد من الامتيازات للتجار والرعايا الاراجونيين فى أراضى الدولة الحفصية[٨٨] ، كما تنازلت الدولة الحفصية عن الكثير من حقوقها تجاه التجارة الاراجونية بموجب هذه المعاهدة ، والواقع أنه لم يكن من السهل على الدولة الحفصية أن تتنازل عن حقوقها بمثل هذا الشكل الذى ورد فى بنود المعاهدة لولا الضغط العسكرى الذى مارسه بدرو الثالث على الحفصيين نتيجة لاحتلال القائد روجير دى لوريا لجزيرة جربة .

واستمرارا للسياسة الاراجونية تجاه الدولة الحفصية ، فقد استغل دى لوريا موقعه فى جزيرة جربة وأخذ فى شن الهجمات المتتالية على مدن الساحل التونسى ، ففى عام ٦٨٥هـ استولى على جزيرة قرقنة التونسية ، كما شن الاسطول القطلانى هجمات تخريبية على مرسى الخزر وجزيرة ريس والمهدية[٨٩] . كما شارك الاسطول القطلانى المرابط فى جربة فى أحداث الثورة التى أشعل نيرانها الامير عبد الواحد ابن أبى دبوس أدريس آخر خلفاء الدولة الموحدية ، وكان الامير عبد الواحد قد فر من مراكش عقب اجتياح المرينيين لعاصمة أبيه عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، ولجأ الى بلاط خايمى الاول ملك أراجون (١٢١٣ —

---

(٨٨) De Mas Latrie : Traités et Documents divers concernant les relations des Chrétiens et des Arabes au Moyen Age, Paris 1889, Section : Royaume D'Aragon, Doc. No. IV, pp. 286-290.

(٨٩) روبرت برنشفيك : تاريخ افريقية فى العهد الحفصى ، جـ١ ص١٢٩ — محمد العروسى المطوى : السلطنة الحفصية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص٢٧٣ — ص٢٧٤ .

١٢٧٦م/٦١٠ — ٦٧٥هـ) صحبة أخيه أبى سعيد عثمان ، وقد استغل ملك أراجون ألفونسو الثالث (١٢٨٥ — ١٢٩١م/٦٨٤ — ٦٩٠هـ) وجود هذين الاميرين فى بلاطه ، وقرر ارسالهما الى افريقية للمطالبة بالعرش الحفصى باعتبارهما من سلالة الموحدين • وكان ألفونسو الثالث يهدف من وراء ذلك الى اثارة مزيد من المتاعب فى وجه السلطان الحفصى أبى حفص عمر ، خاصة وأن ألفونسو الثالث اتفق مع الامير عبد الواحد على أن تقدم أراجون عدة سفن مجهزة بالجنود والمؤنة لمساعدته فى حربه ضد الحفصيين ، ولم تكن هذه السفن سوى جزءا من سفن الاسطول القطلانى المرابط فى جربة بقيادة دى لوريا • كما أرسل ألفونسو الثالث مرغم بن صابر زعيم دباب والذى كان أسيرا لديه لكى يساعد هو وقبيلته الامير الموحدى فى صراعه ضد السلطان أبى حفص• وبالفعل نزل الامير عبد الواحد فى جهة طرابلس عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م وحاول التقدم للاستيلاء على حاضرة الحفصيين ، ولكن نزاعا — فيما يبدو — نشب بين المسلمين وحلفائهم النصارى ، فانسحب الاسطول القطلانى بقيادة دى لوريا وعاد الى جربة بعد أن تسلم فدية مرغم بن صابر • وبعد فترة قليلة توفى الامير عبد الواحد وقام أخوه الامير عثمان بالمطالبة بالعرش ، بيد أنه دب خلاف كبير بينه وبين مرغم بن صابر وحلفائه من العرب ، وبالتالى وجد نفسه وحيدا فى الميدان ، فرحل الى جزيرة جربة حيث توفى هناك ، أما أبناؤه فقد انتقلوا الى تونس[٩٠] •

وهكذا نرى أن خضوع جربة لسيطرة الاراجونيين كان له أسوأ الاثر على السواحل التونسية والدولة الحفصية ، ولذلك تمسك حكام أراجون بهذه الجزيرة وعملوا على ابقائها تحت سيطرتهم بشتى الطرق لتنفيذ سياستهم تجاه الحفصيين • وعلى الرغم من أن جربة لم تتبع

(٩٠) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص٣٠٨ — ٣٠٩ •

تاج أراجون بصفة رسمية ، الا أن حاكم صقلية خايمى الاراجونى كان يعتبرها هى وجزيرة قرقنة من أملاكه[٩١] ، وبناء على ذلك كان لأراجون حقوق على جزيرة جربة بصورة أو بأخرى[٩٢] . ولكن حدث فى عام ١٢٩٥م/٦٩٥هـ أن أعلن البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII أنه عهد بجزيرتى جربة وقرقنة للقائد القطلانى روجير دى لوريا ولأبنائه من بعده على سبيل الاقطاع فى مقابل أن يؤدى دى لوريا للبابوية مبلغا سنويا قدره خمسون أوقية من الذهب[٩٣] .

استمر دى لوريا حاكما على جربة — برغم أنه لم يكن يقيم بها بصفة دائمة — حتى توفى بقطالونيا فى يناير عام ١٣٠٥م/جمادى الآخر ٧٠٤هـ ، فخلفه ابنه روجير الثانى على حكم الجزيرة ، ولكن هذا الاخير لم يكن فى حزم وشدة أبيه ، بل على العكس كان شخصية ضعيفة ، بالاضافة الى أنه ترك جربة وأقام فى ايطاليا تاركا أمر هذه الجزيرة فى أيدى القـــادة العسكريين ، وعين حاكما عاما عليهـــا وهو القـــائد « ايخيديو مارتين » Egidio Martin[٩٤] . ولذلك انتهز أهالى جربة هذه الفرصة ، وثاروا ضد المحتلين القطلان . وقد وجد الحفصيون فى هذه الثورة فرصة مواتية لانهاء الاحتلال القطلانى لجربة ، وعلى هذا

---

(٩١) روبرت برنشفيك ، المرجع السابق جـ١ ص١٣٣ .

(٩٢) Angeles Masia de Ros : La Corona de Aragon Y Los estados del norte de Africa, Barcelona, 1951, p. 70.

(٩٣) راجع نص المرسوم البابوى الذى اصدره البابا بونيفاس الثامن فى الحادى عشر من أغسطس عام ١٢٩٥م (١٠ شوال ٦٩٥هـ) والخاص بمنح روجير دى لوريا جزيرتى جربة وقرقنة كاقطاع له ولأبنائه من بعده فى:
Mas Latrie : op. cit. Docum. Section : Lettres et bulles des Papes, Doc. No. XIX, pp. 18-19.

(٩٤) DuFourcq : L'Espagne Catalane, p. 431.

الاســـاس طلب شـــيخ الموحدين أبو يحيى زكريا بن اللحيـــانى من السلطان الحفصى أبى عصيده محمد بن يحيى الواثق (٦٩٤ — ٧٠٩هـ/ ١٢٩٥ — ١٣٠٩م) أن يأذن له بالخروج الى جربة وتطهيرها من يد الغاصب ، « فأذن له وسرح معه العساكر ، فخرج من تونس فى جمادى (الاولى) سنة ست »[٩٥] (٧٠٦هـ) • ولحسن الحظ لدينا مصدر معاصر لهذه الحملة دون تحركاتها بكل دقة ونعنى به رحلة التجانى ، فقد كان أبو عبد الله محمد التجانى مشاركا فى هذه الحملة باعتباره من كبار رجال ابن اللحيانى ومشرفا على رسائله[٩٦] • ويذكر التجـــانى أنه تعينت للتوجه الى جزيرة جربة حصتان : برية وبحرية • وقد خرجت القوة البحرية من تونس أوائل جمـــادى الاول عام ٧٠٦هـ/نوفمبر ١٣٠٦م ، فى حين خرجت القوة البرية بعد ذلك ، وقد اتفق على أن تتجمع الجيوش كلها فى جزيرة جربة[٩٧] • وقد وصل الجيش البرى الى مجاز الجرف يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الآخر (٢٧ ديسمبر)، ثم عبر المجاز الى مدينة آجيم على الساحل الجنوبى الغربى لجربة • وقد مكث الجيش فى هذه المدينة لمدة يومين ، ثم واصل السير فى اتجاه حصن القشتيل الذى احتمى به الجنود القطلانيون نظرا لمناعته وشدة حصانته ، وقد ضرب ابن اللحيانى الحصار على هذا الحصن • وفى أثناء ذلك أرسل الى شـــيوخ الاباضية فى الجزيرة يطلب منهـــم مساعدته بالاموال ، ويذكر التجانى أن شيخى الاباضية من النكارية والوهبية بالجـــزيرة كانا قد فرا عقب نزول جيش الحفصيين بهـــا خوفا على أنفسهما ، ولكنهما لم يلبثا أن عادا اليها حيث تقابلا مع ابن اللحيانى

---

(٩٥) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص٣١٩ •

(٩٦) راجع : حسن حسنى عبد الوهاب : مقـــدمة رحلة التجانى ص ٢٥م •

(٩٧) التجانى : رحلة التجانى ص ٥ •

الذى ألزمهما بدفع مبلغ من المال يتقوى به أثناء حصاره القشتيل . وقد ظل الجيش الحفصى محاصرا لهذا الحصن مدة شهرين كاملين لم يتمكن خلالهما من اقتحامه ، برغم أنه نصب المجانيــق لضربه[٩٨] . وأخيرا أضطر ابن اللحيانى الى رفع الحصار والاستعداد لمغـــادرة الجزيرة . ويبرر التجانى — ويؤيده ابن خلدون — السبب فى فشل حصار القشتيل بقوله : « وكانت كثرة الجيش الذى معنا من أعظـــم الاسباب فى الاقلاع عنه لانقطاع الاقوات بتلك الجزيرة ، وتعذر الميرة الا فى الشىء اليسير الذى لا تحصل به كفاية ، فعلمنا أن أخذه يصعب بتلك المحاولة ، وانما يؤخذ بالحصار والمطاولة »[٩٩] . وقد غادر الجيش الحفصى جزيرة جربة فى ٢٦ شعبان ٧٠٦هـ/٢ مارس ١٣٠٦م عن طريق مجاز القنطرة حيث رحل بعد ذلك الى قابس[١٠٠] . ويمكننا أن نضيف الى ما قاله التجانى عن عجز القوات الحفصية اقتحام هذا الحصن ، أن ابن اللحيانى — فيما يبدو — علم بأنبـــاء الحملة العسكرية التى جهزها الملك فريدريك الثالث ملك صقلية لمساعدة الامير روجر الثانى لاخماد ثورة أهل جربة والقضاء على التدخل الحفصى ، لذلك آثر ابن اللحيانى رفع الحصار عن حصن القشتيل حتى لا يضطر الى الدخول فى مواجهة عسكرية مع قوات ملك صقلية[١٠١] .

على أية حال لم تستمر ثورة أهل جربة المسلمين ضد الاحتـــلال

---

(٩٨) ابن القنفذ : الفارسية ص ١٥٩ .

(٩٩) التجانى : المصدر السابق ص١٢٨ ، ابن خلدون : العبر ج٦ ص ٣٢٠ .

(١٠٠) التجانى : نفس المصدر ص١٣٢ .

(١٠١) برنشفيك : تاريخ افريقية ج١ ص ١٥٥ — محمـــد العروسى المطوى : السلطنة الحفصية ص ٣٠٢ — ٣٠٣ . انظر كذلك :
DuFourcq : op. cit. p. 432.

القطلانى طويلا ، حيث وصل الامير روجير الثانى ومعه اسطول كبير ، وتمكن من النزول بالجزيرة وأخمد تلك الثورة[١٠٢] • وعلى الرغم من ذلك ، فقد عاود مسلمو جربة الثورة من جديد منتهزين فرصة وفاة روجر الثانى (توفى ٢٣ نوفمبر ١٣٠٧م/٢٦ جمادى الاول ٧٠٧هـ) وتنازع كل من أخويه غير الاشقاء : بيرنجر **Bérenger** ، وشـارل **Charles** للسيطرة على جربة • ويذكر ابن خلدون أن شيخ الموحدين أبا عبد الله ابن الحسين ومعه يخلف بن امغار شيخ النكارية قد تزعما ثورة أهل جربة وذلك عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م • وازاء هذه الاحداث اضطر فريدريك الثالث ملك صقلية (وهو أخ لخايمى الثانى ملك أراجون) الى ضـم جربة بصفة رسمية الى دائرة أملاكه بعد أن أجبر أبناء روجر دى لوريا على التنازل عن حقوقهم فى جربة لصالحه • ومن المعلوم أن البابوية هى صاحبة الحق على هذه الجزيرة منذ أن أصدر البابا بونيفاس الثامن قرارا بذلك وأسند ادارتها الى روجر دى لوريا كما سبق أن أوضحنا • وقد عهد فريدريك الثالث ملك صقلية الى القائد القطلانى سيمون دى منتوليى **Simon de Montoliu** بمهمة اخماد ثورة أهل جربة المسلمين • وقد اصطحب سيمون معه أسطولا قليل العدد نسبيا ومعه أحد قراصنة مدينة بلنسية ويدعى جايوم كاستيار **Jaume Castellar** ، ولكنه لم يتمكن من اخماد ثورة أهل جربة ، بل لقى هزيمة نكراء وقتل كاستيار[١٠٣] • ولاشك أن أنباء الانتصار الرائع الذى أحرزه الجربيون على القـوى النصرانية قد شجع الحفصيين على التدخل مرة أخرى لصـالح أهل الجزيرة ، حيث قدم من تونس أربعمائة فارس للمساعدة فى الهجوم على حصن القشتيل ، وبات واضـحا أن جربة ستتمكن من استعادة

---

(١٠٢) راجع :
Mas Latrie : op. cit. (Introduction), pp. 157-160.

(١٠٣) انظر : **DuFourcq : op. cit. p. 432** أنظر كذلك : ابن خلدون : المصدر السابق جـ٦ ص ٣٢٠ •

حريتها وتتخلص من الاحتلال الاجنبى ، ولكن فريدريك الثالث ملك صقلية رأى أن خروج جربة عن قبضته يشكل خطرا كبيرا على وضعه كحاكم لصقلية ، بالاضافة الى أنه يشكل كذلك خطـرا على سياسة أراجون الخارجية تجاه الدولة الحفصية ، ولذلك اضطر فريدريك الثالث الى الاستعانة بخبرة القائد القطلانى الشهير رامون مونتانر **Ramon Muntaner** الذى تصادف وجوده فى مسينا فى يوليو ١٣٠٩م/صـفر ٧٠٩هـ ، وعهد اليه بمهمة القضاء على ثورة أهل جربة واعادة الامن والاستقرار اليها • وللأسف لا تمدنا المصادر العربية بأية تفصيلات عن مقاومة أهل جربة للاحتلال القطلانى باستثناء الاسطر القليلة التى ذكرها ابن خلدون وأشرنا اليها • وعلى العكس من ذلك يمدنا القائد مونتانر ذاته بتفصيلات عديدة حول هذا الموضوع • ومن المعلوم أن مونتانر قد دون مذكراته التى وصلت الينـا ونشرت تحت عنـوان **Cronica** أى حولية مونتانر[١٠٤] • ويشير مونتانر فى حوليته الى أنه وجد أن عدد الجنود المسلمين المحاصرين لحصن القشتيل بلغ حوالى ثمانية آلاف فارس وعشرة آلاف راجل ، ولكنه ألحق الهزيمة بهـم وأجبرهم على رفع الحصار عن الحصن ، كما عمل على التفريق بين مسلمى الجزيرة ، فاستمال شيخ الفرقة الوهبية الى جانبه بعد أن أمده وأنصاره بالغذاء والمؤنة ، كما استمال أيضا قبائل الاعراب المقيمة على الساحل التونسى المقابل والتى ترتبط مع الوهبية برباط الحلف ، بل أنه كون من هؤلاء الاعراب فرقة بلغ عددها مائتى فارس ضمهم الى صفوف جيشه • وهكذا استغل مونتانر العداء التقليدى بين الوهبية والنكارية لصالحه ، وأخيرا تمكن بفضل المساعدة القيمة التى قدمهـا له فريدريك الثالث وهى عبارة عن ألفى رجل يقودهم كونراد دى لانشيا **Conrad de Lancia** من انهاء ثورة مسلمى جربة وذلك فى المحرم عام

---

(١٠٤) ظهرت عدة طبعات من حوليـة مونتانر آخرها كانت طبعـة برشلونة عام ١٩٥٢م •

٧١١هـ/مايد ١٣١١م • وقد كافأ الملك فريدريك مونتانر بأن منحه جزيرتى جربة وقرقنة كأقطاع خاص به لمدة ثلاث سنوات[١٠٥] •

جربة والقرصنة البحرية فى عهد الاحتلال القطلانى :

لم تنقطع أعمال القرصنة البحرية التى تتخذ من جزيرة جربة مركزا لها خلال فترة استيلاء الاراجونيين عليها ، واذا كان روجر الثانى النورمانى قد اتخذ من أعمال القرصنة التى قام بها مسلمو جربة مبررا للهجوم عليها وعلى غيرها من السواحل التونسية فى النصف الاول من القرن السادس الهجرى (١٢م) ، فان الاراجونيين والصقليين حينما وقعت الجزيرة فى أيديهم لم يتورعوا ارتكاب نفس الشىء • وكانت أعمال القرصنة التى يقوم بهـا أسطول القطلانيين المرابط فى جربة تشمل أيضا السفن المسيحية والاسلامية على السواء • ولدينا رسالة بعث بها خايمى الثانى ملك أراجون الى روجر الثانى صاحب جربة (الرسالة مؤرخة فى ١٢ أبريل ١٣٠٧م/٨ شوال ٧٠٦هـ) يحمله فيها مسئولية الاعتداء الذى حدث على سفينة بضائع قطلانية تخص اثنين من أتباع الملك خايمى وهما : **Jaime Restany , Père Bussot** وقد حاول روجر الثانى أن يلقى تبعة هذا العمل على كاهل القائد ايخيديو مارتين **Egidio Martin** الذى أعاد جزءا من البضائع لصاحبيها ، ولكن خايمى الثانى ملك أراجون أمر باعادة بقية البضائع لأصحابها أو يقوم القائد مارتين بدفع قيمتها[١٠٦] •

أما اعتداءات السفن القطلانية المتمركزة فى جربة ضد سفن المسلمين ، فقد ورد بعض أخبارها فى رسائل وجهها السلطان الحفصى أبو عصيدة محمد الى خايمى الثانى ملك أراجون ، ففى شهر جمادى

---

(١٠٥) برنشفيك : المرجع السابق جـ١ ص١٧١ — ٢٧٢ ،
Dufourcq : op. cit. pp. 430-431

(١٠٦) أنظر : **Defourcq : op. cit. pp. 430-431** والمصادر =

الاول عام ٧٠٥هـ/نوفمبر ١٣٠٥م ، اكترى تجار من تونس جفنا لأحد أصحاب السفن القطلانيين وشحنة بما قيمته ثمانية آلاف دينار مواد غذائية وعطور ، وقد تعرض هذا الجفن لهجوم السفن القطلانية التى استولت عليه وعلى ما فيه من بضائع . ولا بأس أن نورد هنا بعض سطور من الرسالة التى بعث بها السلطان أبو عصيدة الى خايمى الثانى وتصف لنا هذه الحادثة ، تقول الرسالة « وفى شهر جمدى الاول من عام التاريخ (٧٠٥هـ/نوفمبر ١٣٠٥م) اكترى تجـار من أهل تونس وجهاتها جفن جيم ملقدر القطلانى لوسق طعام وغير ذلك لبلد قابس ، فوسقوا فيه ما قيمته ثمانية آلاف دينر بين طعام وعطريات ، فلما كان بمقربة من جربة خرج عليهم شيطيان أحدهما من جربة والآخر من اطرابنه أسم صاحبه جيم طرطوزه ، فتكلموا معهم وانصرفوا عنهم ، ثم بعد ذلك بيومين التقيا فى بحر قبودية سحر (هكذا وردت فى النص) ومعهم طريدة أخذوها من مرسى المهدية للسلمين ، فاستعانوا بها على الجفن المذكور وأخذوه ، فمن الناس من قال باتفاق مع صاحب الجفن ومنهم من قال بقتال وغدر »(١٠٧) .

وفى رسالة أخرى بعث بها السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمـد اللحيانى (٧١١ — ٧١٧هـ/١٣١١ — ١١٣٧م) الى نظيره الاراجونى

=

والمراجع الواردة بالصفحة ، مع ملاحظة ان الرســالة محفـوظة فى أرشـيف تاج اراجون Archivo de La Corona de Aragon القسم الخاص بعصر الملك خايمى الثانى ، صندوق رقم ١٥ رســالة رقم ٣٠٧٠ .

(١٠٧) راجع : Alarcon y Linares : Los Documentos Arabes diplomaticos del archivo de la Corona de Aragon, Madrid-Granada, 1940, p. 260.

خايمى الثانى ، طلب منه أن يصدر أوامره للادميرال روجر قائد أسطول جربة بأن يكف عن التعرض لسفن المسامين الآتية لمراسى الدولة الحفصية ، والا فان السلطان الحفصى سيشن هجوما عنيفا على جربة ويخربها ويهدم ديارها(١٠٨) .

احوال جربة منذ العقد الثانى من القرن الثامن الهجرى حتى استعادة الحفصيين لهـا :

فى الفترة التى تلت تثبيت القائد رامون مونتانر كحاكم لجزيرة جربة وسيد اقطاعى لها تابع لملك صقلية فريدريك الثالث ، وقعت عدة حوادث ليس لها أهمية كبرى على وضع الجزيرة السياسى أو العسكرى، فعلى سبيل المثـال قام أحد مساعدى مونتـانر ويسمى بال جارنيرا Val Garnera بتشييد برجا يحمل اسمه فى الطرف الشمالى الغربى للجزيرة(١٠٩) ، كما كانت هناك محاولة من جانب الملك الصقلى فريدريك الثالث لتسكين بعض الرهبان الفرنسيسكان فى جزيرة جربة ، وهؤلاء الرهبان كانوا على خلاف مع البابوية ، ولكن يبدو أن محاولته تلك لم يكتب لها النجاح اذ لم تشر المصادر الى وجود طائفة مسيحية فى جربة فى ذلك الوقت(١١٠) . وفى عام ٧١٨هـ/١٣١٨م طلب السلطان المخـلوع أبو يحيى زكريا اللحيانى من فريدريك الثالث ملك صقلية أن ينقذ حياته المهددة من طرف الامير أبى يحيى أبى بكر ، وكان اللحيانى مقيما فى طرابلس ، فوصلت اليه ست سفن من أسطول جربة حملته هو وأهله

---

(١٠٨) راجع : Alarcon y Linares : op. cit. p. 284. ونظرا لاهمية هذه الرسالة فقد رأينا نشرها كملحق فى نهاية هذا البحث .

(١٠٩) برنشفيك : المرجع السابق جا ص ٣٥٠ .

(١١٠) نفس المرجع جا ص٤٨٩ .

الى الاسكندرية حيث نزلوا عند السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون[113] .

وقد استمرت جربة تحت سيطرة ملك صقلية حتى تم تحــريرها عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م على يد الحفصيين ، فقد اندلعت ثورة عارمة فى أنحاء الجزيرة ضد السلطات المحتلة بسبب المظالم التى ارتكبها ولاة وجنود الحامية النصرانية بالجزيرة ، وقد حاول أهل جربة رفع شكواهم الى الملك فريدريك الثالث ملك صقلية ، ولكن هذا الاخير كان مشغولا بشئون ايطاليا ، فلم يعر شكواهم آذانا صاغية ، واكتفى بارسال خمس سفن حربية لاخضاع ثورة أهل جربة ، وحتى هذا الاسطول الصغير لم يصل الى جربة حيث فاجأه اسطول تابع لجمهورية نابولى فهجم عليه وحطمه . وفى نفس الوقت كانت أنبــاء هذه الثورة العارمة قد بلغت أسماع السلطان الحفصى أبى يحيى أبى بكر (٧١٨ — ٧٤٧هـ/ ١٣١٨ — ١٣٤٧م) ، فجهز اسطولا كبيرا وضع على قيادته القــائد مخلوف بن الكماد ، وقد حاصر الجيش الحفصى الذى نزل بالجزيرة حصن القشتيل حصارا شديدا ، وتعاون أهل جربة مع الجيش الحفصى فى احكام الحصار ، حتى سقط الحصن فى أيدى المسلمين ، وتم تحرير الجــزيرة من سيطرة الصقليين والاراجونيــين . وقد ولى السلطان أبو يحيى أبو بكر قائده ابن الكماد واليا على جزيرة جربة[113] .

---

(١١١) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة المعروفة بتحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار . نشر ديفرميرى وسنجونيتى ، باريس ١٩٧٩ ، جا ص٣٢ — ٣٣ — المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٧١ ، الجزء الثــانى ، القسم الاول ، ص١٩٤ — ابن خلدون : العبر جـ٦ ص ٣٣٠ — ٣٣١ .

(١١٢) راجع : ابن خلدون : المصدر السابق جـ٦ ص٣٧٤ — الزركشى: تاريخ الدولتين ص٦١ — برنشفيك : المرجع السابق جا ص١٨٩ ، جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية جـ٢ ص١٨٤ .

جربة منذ تحريرها حتى حملة الفونسو الخامس ملك أراجون عليها عام ٨٣٥هـ/١٤٣١م :

عقب عودة جربة الى طاعة الحفصيين ، تولى ابن الكماد تسيير أمورها فترة من الوقت لم تستمر طويلا حيث عزله السلطان الحفصى أبو يحيى أبو بكر ، وأضـاف جربة الى أعمال بنى مكى أصحاب قابس[١١٣] ، وقد عين عبد الملك بن مكى أخاه أحمد بن مكى واليا على جربة[١١٤] . وقد شاركت هذه الجزيرة فى العديد من الحوادث التى جرت بافريقية خلال النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (١٤م) . فقد شاركت قطع من أسطول جربة فى الاسطول الذى سيره السلطان الحفصى أبو يحيى لصهره السلطان أبى الحسن المرينى للمشاركة فى الجهاد بالاندلس[١١٥] ، حيث كان السلطان أبو الحسن يعد العـدة للاشتباك مع القوى المسيحية فى الاندلس[١١٦] . وعندما اجتاح السلطان أبو الحسن المرينى البلاد التونسية عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م كانت جربة من ضمن المناطق التى أرسلت بيعتها اليه ، وقد وضع عليها عبد الواحد بن السلطان الحفصى أبى يحيى زكريا اللحيانى حيث استقر بها . ولاشك

---

(١١٣) عن بنى مكى أصحاب قابس وجربة وبلاد الجريد ودورهم فى أحداث الدولة الحفصية راجع : ابن خلدون : جـ٦ ص٣٥٢ .

(١١٤) نفس المصدر السابق والصفحة .

(١١٥) عن السلطان أبى الحسن على المرينى وعصره راجع : ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن . تحقيق د. ماريا خيسوس بيجيرا ، الجزائر ، ١٩٨١ .

(١١٦) راجع : السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى . الدار البيضاء ١٩٥٤ جـ٣ ص ١٣٥ ، أنظر أيضا :
Angel Canellas : Aragon y La empresa del estrecho en el siglo XIV, Zaragoza, 1940, p. 31.

أن تولية عبد الواحد بن اللحيانى على جربة قد أثار بنو مكى ، لأن جربة كانت من ضمن المناطق التابعة لهم ، كما أنهم كانوا قد بايعـوا السلطان أبا الحسن المرينى ، وكادت الامور تتأزم بينهم وبين السلطان المرينى لولا أن عبد الواحد بن اللحيانى والى جربة توفى فجأة عام ٧٤٩هـ فى الطاعون الجارف الذى اجتاح بلاد المغـرب(١١٧) . وعقب انسحاب المرينيين من افريقية ، قام الحـاجب أبو محمد عبد الله بن تفراجين(١١٨) بتولية أحد أبناء الخليفة الحفصى أبى يحيى أبى بكـر سلطنة الحفصيين وبايعه باسم المستنصر ، وقد بايعت غالبية الولايات التونسية هذا الخليفة الجديد ماعدا الجنوب الشرقى بزعامة أحمـد ابن مكى صاحب قابس وجربة نظراً للخصومة القائمة بينه وبين ابن تفراجين(١١٩) . وقد تعرضت جربة عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م لحملة بحـرية شنها أسطول صاحب طرابلس محمد بن ثابت ، ويرجع سبب تلك الحملة الى العداء المستحكم بين بنى ثابت وبنى مكى ، ولكن الامير أبا العباس أحمد (السلطان فيما بعد) والذى تربطه صداقة وتحالف مع بنى مكى، عبر البحر الى جربة حيث تمكن من فك حصار الجزيرة وأعادها لبنى مكى(١٢٠) .

---

(١١٧) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة جـ١ ص١٣٣ ، ابن خلدون : العبر جـ٦ ص٣٦١ .

(١١٨) هو الشيخ أبو محمد عبد الله بن تفراجين من اشـهر وزراء الحفصيين ، ينتسب الى بيت بنى تفراجين من الموحدين ، وكان لهم دور كبير فى توجيه الاحداث فى الدولة الحفصية . راجـع : ابن خلدون : جـ٦ ص٣٤٨ — ٣٥٠ — ابن القنفذ : الفارسية ص١٦٧ ، ص٢٦٩ — أنظـر كذلك : د. مختار العبادى : دراسات ص ١٩٥ .

(١١٩) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٦ ص٣٧٤ — ٣٧٥ — أنظر كذلك محمد العروسى المطوى : السلطنة الحفصية ص٤٢٦ .

(١٢٠) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص٣٦٩ .

وعندما غزا السلطان المرينى أبو عنان فارس (٧٤٩ — ٧٥٩هـ/ ١٣٤٨ — ١٣٥٨م) البلاد التونسية ، بعث ابن مكى ببيعته وبيعة المناطق التابعة له للسلطان المرينى(١٢١) ، ومن المعلوم أن جربة كانت من ضمن المناطق التابعة لبنى مكى • ولذلك عمل الحاجب ابن تفراجين على انتزاع جربة من يد بنى مكى عقابا لهم على مبايعتهم السلطان أبى عنان ، فانتهز فرصة غياب أحمد بن مكى بطرابلس(١٢٢) ، وتذمر أهل جربة من سوء معاملة ابن مكى لهم ، وأرسل اسطولا كبيرا بقيادة ابنه أبى عبد الله محمد وذلك عام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م لحصار جربة • وقد حاصر الجيش الحفصى حصن القشتيل القديم الذى اعتصم به رجال ابن مكى حتى سقط فى أيدى أبى عبد الله محمد، فعين كاتبه محمد بن أبى القاسم بن أبى العيون واليا على جربة ، فى حين غادرها هو عائدا الى تونس ، وبذلك خرجت جربة من يد بنى مكى وعادت الى سلطة الحفصيين المباشرة بصفة نهائية(١٢٣) •

استمرت جربة تحت حكم ابن أبى العيون حتى توفى الحاجب ابن تفراجين عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م ، فأعلن ابن أبى العيون الثورة ضد السلطان الحفصى أبى اسحاق ابراهيم (٧٥١ — ٧٧٠هـ/١٣٥٠ — ١٣٦٩م)

---

(١٢١) ابن الحاج النميرى : فيض العباب وافاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب . تحقيق د. رضوان البارودى و د. احمد الطوخى (تحت الطبع) لوحة رقم ١١٤ •

(١٢٢) كان الجنويون قد استولوا على طرابلس عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م ، وفاوضهم احمد بن مكى بعد ذلك على ترك طرابلس له مقابل أن يدفع لهم مبلغا كبيرا من المال بلغ خمسين الف دينار من الذهب ، فوافقوا على ذلك ، فترك قابس وجربة ورحل الى طرابلس لاستلامها من الجنوية . راجع : ابن خلدون : جـ٦ ص ٣٧٥ •

(١٢٣) نفس المصدر السابق ص٣٦٩ •

وامتنع بجربة حيث انضم اليه أهلها فى ثورته ، وظل ابن أبى العيون مستقلا بجربة حوالى ثمان سنوات • وعندما اعتلى أبو العباس أحمد عرش الحفصيين عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م عمل على اخضاع المناطق الثائرة عليه ومن ضمنها جربة ، فبعث فى عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ابنه الامير أبا بكر فى عسكر عظيم الى جربة وسير معه محمد بن على بن ابراهيم من كبار رجال دولته « وأمده فى الاسطول فى البحر لحصارها ، ونزل الامير بعسكره على مجازها ووصل الاسطول الى حراسها ، فأطاف بحصن القشتيل وقد لاذ ابن أبى العيون بجدرانه وافترق عنه شيوخ الجزيرة من البربر وانحاش معه بطانته من الجند المستخدمين معه بها »(١٢٤) • ولم يصمد ابن أبى العيون طويلا حيث قبض عليه وأرسل الى تونس، فظل معتقلا بها حتى توفى عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م •

حملة تخريبية على جربة عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م :

تعرضت جزيرة جربة لحملة بحرية عام ٧٩٠هـ من قبل أساطيل جنوه وبيزه وصقلية ، وهذه الحملة تدخل فى نطاق الصراع بين المسلمين والمسيحيين للسيطرة على التجارة البحرية فى حوض البحر المتوسط • وقد تبادل الطرفان شن الغارات على مدن وسواحل وسفن الطرف الآخر • وكان المسلمون يعتبرون هجماتهم على السفن والسواحل المسيحية نوعا من أنواع الجهاد ، فى حين كان المسيحيون يعتبرون ذلك نوعا من القرصنة البحرية يجب ايقافها(١٢٥) • وقد أوضح لنا ابن خلدون جانبا من جوانب هذا الصراع بين الفريقين ، فقال أن الفرنج قد بسطوا سيطرتهم على البحر الابيض عقب انتزاعهم الجزر البحرية مثل سردانيا وصقلية وميورقة من أيدى المسلمين ، وصار لهم الكلمة العليا فى هذا البحر ، ولكن اختلاف الممالك المسيحية وافتراق كلمتها أتاح

---

(١٢٤) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٦ ص ٣٧٥ .

(١٢٥) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية : جـ٢ ص٣٢٢ .

للمسلمين فرصة الهجوم عليها ، بيد أن هذا الهجوم لم يكن يتم بتخطيط من قبل السلطات الاسلامية الحاكمة ، بل يقوم به بعض المجاهدين ، يقول ابن خلدون « فتمت عزائم كثيرة من المسلمين بسواحل افريقية لغزو بلادهم وشرع فى ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجتمع النفير والطائفة من غزاة البحر ويصطنعون الاسطول ويتخيرون له أبطال الرجال ثم يركبونه الى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبى »[١٢٦] • ولاشك أن هذه الغارات البحرية الاسلامية كانت تثير القلق والضيق لدى الدول المسيحية مثل جنوه وبيزه وأوراجون وفرنسا ، لذلك رأت تلك الدول أنه من الضرورى وضع حد لهذه الغارات التى يشنها المسلمون على سفنهم وسواحلهم • وقد أخذت جنوه على عاتقها مهمة تنظيم حملة بحرية كبرى ضد الاماكن التى تتواجد فيها السفن الاسلامية التى تهاجم مثل جربة وقرقنه والمهدية وبجاية • وتشير المصادر المسيحية[١٢٧] الى أن جنوه تحالفت مع كل من صقلية وبيزه فى سبيل تنظيم هذه الحملة ، وأن هذه الحملة اتخذت من جزيرة جربة والجزر الاخرى الواقعة فى خليج قابس هدفا لها[١٢٨] • وقد شاركت جنوه بأثنتى عشرة سفينة تحت قيادة رفائيل أدورنو Raffaele Adorno ، فى حين قدم

---

(١٢٦) ابن خلدون : المصدر السابق ج٦ ص٣٩٩ — ٤٠٠ •

(١٢٧) لم تشر المصادر الاسلامية الى هذه الغزوة البحرية على جربة، ولذلك استقينا مادتها من المصادر والمراجع الاوربية وبعض المراجع العربية الحديثة التى اعتمدت هى الاخرى على المصادر الاوربية •

(١٢٨) راجع :
K.M. Setton : The Papacy and the Levant, Philadelphia, 1976 Vol. 1, p. 330

البيزيون خمس سفن[١٢٩] ، أما صقلية ، فبرغم أن الملكة مارى شقيقة الملك فريدريك البسيط وحفيدة بدرو الرابع ملك أراجون لم تشارك فى هذه الحملة بصفة رسمية ، الا أن أحد رجال مملكتها ويدعى مانفريدو دى شاراموتنى **Manfredo de Chiaramonte** استأجر ثلاث سفن جنوية من ماله الخاص وتولى قيادتها .

أما البندقية فانها وعدت بتقديم خمس سفن حربية للمشاركة فى هذه الحملة وذلك كما يتضح من نص الخطاب الذى بعث به دوق جنوة الى دوق البندقية يشكره على ذلك الوعد ويطلب منه أن تلتحق هذه السفن بالاسطول الجنوى فى شهر مايو من نفس العام (١٣٨٨م) وذلك بميناء ترابانى[١٣٠] . أما البابا أوربان السادس (١٣٧٨ — ١٣٨٩م) فقد أبدى موافقته ومباركته لهذه الحملة . وهكذا تجمع أسطول كبير بلغ عدد سفنه حوالى عشرين سفينة تحت قيادة شاراموتنى وذلك فى يوليو ١٣٨٨م/رجب ٧٩٠هـ ، وانطلق هذا الاسطول الى جربة حيث استولى عليها دون صعوبة تذكر وذلك فى منتصف سبتمبر من نفس العام ، وقام رجال الحملة بنهب الجزيرة[١٣١] . وعلى الرغم من أن جنـــوة هى التى أخذت على عاتقها مهمة تنظيم هذه الحملة وقدمت معظـــم السفن التى اشتركت فيها ، الا أن دى شاراموتنى أعلن ضم جربة الى ممتلكات تاج صقلية وأن الملكة مارى صاحبة الحق على هذه الجزيرة.

---

(١٢٩) ارسل دوق بيزة عقب فشل الحملة على جربة رســـالة الى السلطان الحفصى أبى العباس أحمد يعتذر له عن اشتراك السفن البيزية فى هذه الحملة وادعى أن أصحاب السفن الخاصة هم الذين ساعدوا جنوه دون اى تدخل منه شخصيا . راجع :

(١٣٠) راجع : Mas Latrie : op. cit. (Docum.) p. 129.

(١٣١) راجع : د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ص١١٧٩ ، Setton : op. cit. Vol. 1, p. 339.

وفى مقابل ذلك قام بدفع مبلغ ٣٦ ألف فلورين ذهبى للجنوية نظير قيامهم بالمساعدة فى الاستيلاء على جربة . وقد قام البابا أوربان السادس بتقليد شارامونتى حكم الجزيرة والجزر الاخرى الواقعة فى خليج قابس كسيد اقطاعى تابع للبابوية يؤدى الضريبة الاقطاعية لها وكذلك القسم الاقطاعى(١٣٢) . ولكن جربة لم تستمر طويلا فى حوزة دى شارامونتى حيث استعادها الحفصيون ، وان لم تحدد لنا المصادر الكيفية التى تم بها هذا الامر ولا التاريخ الذى وقع فيه .

وبالنسبة لرد الفعل الذى اتخذه الحفصيون ازاء هجوم الجنوية وحلفائهم على جزيرة جربة ، فقد تمثل فى غارة انتقامية شنها الاسطول الحفصى على جزيرة جودش(١٣٣) Gozzo عام ٧٩١هـ/١٣٨٩م . ويبدو أن هذه الغارة الحفصية ألحقت أضرارا بالغة بهذه الجزيرة ، كما كان لها صدى طيبا لدى السلطان المملوكى الظاهر برقوق ، فقد أرسل الى السلطان الحفصى أبى العباس أحمد رسالة يهنئه فيها بانتصاره على النصارى فى جودش ، ويطلب منه مزيدا من التفصيلات عن هذه الغزوة ، ويشير القلقشندى الى أن السلطان الحفصى قد أرسل الى نظيره المملوكى رسالة مطولة اشتملت على بعض تفصيلات هذه الغزوة، وأن الوزير الحفصى محمد بن أبى هلال هو الذى حمل الرسالة للسلطان برقوق(١٣٤) .

عودة جربة الى سيادة الحفصيين :

عقب فشل الحملة الجنوية على جربة ، عين السلطان أبو العباس

---

(١٣٢) Setton : op. cit. vol. 1, pp. 330-331.

(١٣٣) جودش : احدى جزر أرخبيل مالطه ، وقد ذكر الادريسى انها تبعد حوالى مائة ميل عن جزيرة قوصرة . راجع : نزهة المشتاق جـ٢ ص٥٨٧ .

(١٣٤) راجع : القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، نشر =

أحمد أحد العلوج ويسمى منصور حاكما عليها ، ولكن الامير عمر ابن السلطان أبى العباس أراد أن يضم جربة الى دائرة نفوذه خاصة بعد الفشل الذى منيت به حملته على طرابلس عام ٧٩٢هـ/١٣٩٠م لاخضاع ثورتها • وقد ذكر ابن خلدون أن الامير عمر بعد أن أمضى عاما فى حصار طرابلس ، وتركها وقفل عائدا الى تونس ، وفى طريق عودته مر بجزيرة جربة ، وحاول النزول بها ، ولكن العلج منصور رفض ذلك ومنعه من دخولها ، ولذلك طلب الامير عمر من والده أن يوليه جربة وصفاقس فوعده بذلك[١٣٥] • ولقد أدى هذا العمل الى غضب العلج منصور وامتنع بحصن القشتيل • وقد بلغت أنباء هذا التمرد الذى قام به منصور الى مسامع الوصى على عرش صقلية ودوق مونبلان[١٣٦] Duc de Mont-Blanc مارتن لافييى (أى العجوز أو الاكبر تمييزا له عن ابنه وسميه مارتن الاصغر ملك صقلية) Martin La Vieux الذى أراد أن يستغل هذه الفرصة لاستعادة جربة الى سيطرة صقلية• وفى سبيل تحقيق ذلك قرر أن يبعث اثنين من كبار رجال دولته وهم ا: جليوم الطلمنكى[١٣٧] Guillaume de Talamanca وفيتو مالكوندينى

مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية جـ٧ ص٣٧٩ — ٣٨٤ ، جـ٨ ص٧٩ — ٨٤ •

(١٣٥) ابن خلدون : جـ٦ ص٤٠٢ •

(١٣٦) مونبلان Mont-Blanc هى منطقة الجبل الابيض أكثر جبال الالب وجبال أوربا ارتفاعا ويبلغ ارتفاع قمة الجبل الابيض ٤٨١٠م وتقع على الحدود بين فرنسا وايطاليا •

(١٣٧) نسبة الى مدينة طلمنكه Talamanca وهى مدينة بالثغر الاندلسى بناها الامير الاموى محمد بن عبد الرحمن (حكم من ٢٣٨ — ٢٧٥هـ/٨٥٢ — ٨٨٦م) ، بينها وبين وادى الحجارة عشرون ميلا • راجع : الزهرى (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) : كتاب الجغرافيا • تحقيق محمد حاج

الى السلطان الحفصى أبى العباس أحمد **Vito de Malcondignis** للتفاوض معه بشأن مصير جربة ، وقد أعطى مارتن الاكبر تعليماته لمبعوثيه بأن يطلبا من السلطان الحفصى أن يتنازل عن جزيرة جربة لصالح تاج صقلية لأنها كانت تابعة له فى جميع العصور على حد قوله[١٣٨] . ولكن هذين الرسولين لم يصلا الى تونس ، فقد تلقى مارتن الاكبر رسالة من العلج منصور والى جربة وعلى بن عمار الثائر بطرابلس يطلبان منه التدخل لصالحهما ضد الحفصيين . وبناء على هذا الوضع الجديد بعث مارتن الاكبر كل من جليوم الطلمنكى وهو جو دى سانتاباز **Hugues de Santa-Paz** الى ابن عمار بطرابلس وعرضا عليه استعداد صقلية تقديم يد المساعدة له مقابل مساعدتهما فى الاستيلاء على جربة وضمها الى أملاك صقلية[١٣٩] . بيد أن جربة لم تسقط فى يد الصقليين ، حيث بعث السلطان الحفصى الى العلج منصور يأمره بتمكين ابنه الامير عمر من الحصن وتسليمه الجزيرة ، وأتبع ذلك بارسال ابنه على رأس جيش كبير تمكن من النزول بالجزيرة واستعان بأهلها فى القضاء على هذا العصيان[١٤٠] .

على أية حال ، استمر الامير عمر بن أبى العباس حاكما على جربة حتى وفاة أبيه عام ٧٩٦هـ/١٣٩٤م ، فلما تولى أخوه أبو فارس عزوز سلطنة الحفصيين ، ثار الامير عمر وأعلن استقلاله بجربة ، بيد

صادق ، القاهرة بدون تاريخ ص١٠٤ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب . تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة جـ٢ ص٤٢ — الحميرى : الروض المعطار ص٣٩٣ .

(١٣٨) Mas Latrie : op. cit. p. 161.

(١٣٩) Ibid, pp. 163-166.

(١٤٠) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص٤٠٢ — كذلك راجع : المطوى : السلطنة الحفصية ص ٥٣٠ .

أن تلك الثورة لم تستمر طويلا حيث تمكن السلطان أبو فارس من القضاء عليها ، وبذلك عادت جربة لسلطة الحفصيين المباشرة[141] . ولكى يضمن السلطان الحفصى عدم خروج جربة عن طاعته ، قام ببناء قنطرة تربط بين الطرف الجنوبى الشرقى من الجزيرة والساحل التونسى المقابل ، بحيث يسهل على القوات الحفصية البرية العبور الى الجزيرة كلما احتاج الامر لذلك . وقد أشار الشماخى فى كتابه «السير»[142] الى أهمية هذه القنطرة التى بناها أبو فارس عزوز فقال « كان الناس لا يدخلون اليهـا الا فى السفن قبل بنـاء القنطرة التى بنيت أيام عبد العزيز أبى فارس سلطان افريقية » .

وفى عهد أبى فارس أيضا تصادفنا حادثة غريبة بعض الشىء وتتمثل فى تلك المعاهدة التى وقعها مع ملوك أراجون مارتن الاكبر (تولى عرش أراجون فى الفترة من ١٣٩٥ — ١٤١٠م/٧٩٨ — ٨١٣هـ) وذلك عام ٨٠٥هـ/١٤٠٣م ، فقد تضمنت هذه المعاهدة بندا يتعلق بأحقية ملك صقلية (مارتن الاصغر) فى احتلال جربة ولكن بعد مضى خمس سنوات من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ، وبشرط أن يعلن ملك صقلية نيته فى احتلال جربة قبل القيام بأى عمل عسكرى بستة أشهر ، وفى المقابل يعترف ملك أراجون بأحقية السلطان الحفصى فى احتـلال

---

(١٤١) المطوى : المرجع السابق ص٥٥٩ .

(١٤٢) ص٥٥٧ . ولكن هذه القنطرة هدمت أثناء حملة الفونسو الخامس ملك اراجون على جربة عام ٨٣٥هـ/١٤٣٢م وقد أعاد السلطان الحفصى أبو فارس بناءها عقب رحيل الاراجونيين عن الجزيرة ، بيد أنها هدمت مرة أخرى عقب وفاة السلطان أبى عمر عثمان عام ٨٩٣هـ/١٤٨٨م حيث هدمها هذه المرة أهل جربة كى يحولوا دون وصول اية قوات حفصية لجزيرتهم اذا ما فكروا فى الانفصال عن السلطة الحفصية راجع : ليون الافريقى : وصف افريقيا ص٤٦٨ .

جزيرة قوصرة التابعة لصقلية بنفس الشروط أى بعد مضى خمس سنوات وضرورة اخطار السلطات الصقلية بنية الغزو قبل ستة أشهر[١٤٣] . ولكن شيئا من كل هذا لم يحدث ، حيث ظلت جربة فى حوزة الحفصيين حتى قيام ألفونسو الخامس ملك أراجون بشن حملته عليها عام ٨٣٥هـ .

حملة ألفونسو الخامس على جربة عام ٨٣٥هـ/١٤٣٢م وهزيمتها :

تدخل هذه الحملة فى نطاق الهجمات البحرية المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين فى هذا الجزء من البحر المتوسط ، وفى نطاق رغبة أراجون تنفيذ المشروع القديم الخاص بضم جربة الى أملاك تاج صقلية حتى يأمن الاراجونيين والصقليون من الغارات التى يشنها المجاهدون المسلمون على المدن الساحلية والسفن المسيحية فى حوض البحر المتوسط. وكان الاسطول الحفصى بقيادة القائد أبى النعيم رضوان قد شن غارة مدمرة على جزيرة مالطة التابعة لتاج صقلية وذلك عام ٨٣٣هـ/١٤٢٩م حيث نهبها لمدة ثلاثة أيام . وكانت هذه الغارة ردا على غارة أخرى شنها أسطول صقلية على جزيرة قرقنة فى العام السابق[١٤٤] . ولذلك لم يجد ملك أراجون وسيلة لايقاف الهجمات البحرية الاسلامية الا أن يخرج بنفسه ويشن حملة تأديبية ضد مراكز السفن الاسلامية الامامية وخاصة جزيرة جربة ، حيث استغل فرصة انشغال السلطان الحفصى أبى فارس عزوز ببعض الثورات المحلية فى الجنوب التونسى، وجهز اسطولا قويا بلغ عدد سفنه مائة وثلاثين ، وقد أبحر ألفونسو الخامس من مالطة فوصل الى جزيرة جربة فى ذى الحجة ٨٣٥هـ/

---

(١٤٣) راجع : روبرت برنشفيك : المرجع السابق جا ص ٢٥٥ ، والمصادر الواردة فى الصفحة .

(١٤٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ص ١١٠ — المطوى : السلطنة الحفصية ص٥٧٧ — ٥٨١ .

أغسطس ١٤٣٢م ، وتمكن من احتلال قسم كبير من الجزيرة ، كما قام بقطع القنطرة التى تربط جربة بالبر ، وأقام سورا خشبيا يفصل بين قواته وقوات المسلمين بجربة ، وقد أرسل أهالى جربة الى السلطان الحفصى أبى فارس عزوز يخبرونه بتعرض جزيرتهم لهجوم الاراجونيين ويطلبون مساعدته ، فترك السلطان بلاد الجــريد وعاد مسرعا الى تونس ، ومنها رحل الى مكان قريب من الجزيرة على الشاطىء التونسى حيث أقام معسكره هناك • وقد علم الاراجونيون عن طريق بعــض عيونهم أن كثيرا من رجال السلطان الحفصى ينصرفون من المعسكر وقت الظهيرة لقضاء حوائجهم ولا يبقى معه الا الخواص ، فأرسلوا عدة سفن أحاطت بموضع القنطرة وهاجمت الجيش الحفصى ، ودار قتال عنيف انتهى بهزيمة المسلمين ، وكاد السلطان أبو فارس يقع فى الاسر لولا أن فر من المعركة ، وقد استولى الاراجونيون على عشرين منجنيقا وقدر كبير من الاسلحة ، كما قتل أحد أصهار السلطان ويدعى محمد ابن شيخ الموحدين بن عبد العزيز • وبرغم هذه الهزيمة التى لحقت بالجيش الحفصى ، الا أن مسلمى جربة باغتوا القوات الاراجونية بهجوم سريع ألحق بها خسائر فادحة ، كما أن الجنود الحفصيين استغلوا فرصـــة انحسار الماء أمام أجزاء من الجزيرة أثناء حركة المد والجزر ، وعبروا الى الجزيرة واشتبكوا مع الجيش الاراجونى فى قتال عنيف انتهى بانتصار المسلمين ومصرع عدد كبير من أفراد الجيش الاراجونى[١٤٥]• ويذكر أبو راس الجربى أن أهالى جربة بنو برؤوس القتلى الاراجونيين برجا كالمنارة على ساحل البحر[١٤٦] • وهكذا أضطر ألفونسو الخامس

---

(١٤٥) الزركشى : المصدر السابق ص١١٣ •

(١٤٦) محمد أبو راس : مؤنس الاحبة ص١٠٤ — ١٠٥ ويسمى هذا البرج الآن برج الجماجم •

الى ترك جزيرة جربة بعد أن أمضى بها سبعة وعشرين يوما ، وعادت الجزيرة الى طاعة الحفصيين من جديد[147] .

(١٤٧) الزركشى : المصدر السابق ص١١٣ ــ ١١٤ ــ ابن الشماع : الادلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية . تحقيق الطاهر بن محمد المعمورى . ليبيا ١٩٨٤ ص١١٦ ــ ١١٧ ــ ليون الافريقى : وصف افريقيا : ص٤٧٦ . انظر كذلك : اندريه جوليان : تاريخ شمال افريقيا ج٢ ص١٨٧ ، برنشفيك : المرجع السابق ج١ ص٢٦١ ــ ٢٦٣ .

بعض الجوانب الحضارية فى جزيرة جربة

اذا كنا قد عرضنا لتاريخ جربة ، وتطورها السياسى ، وتوالى الحكومات عليها ، فما من شك أن ثمة تحولات وتطورات حضارية واكبت تلك التغيرات السياسية ، وسنحاول خلال الاسطر القليلة التالية أن نتناول هذه التطورات • ونبدأ بالحديث عن :

(أ) السكان : سكن جزيرة جربة خلال العصر الاسلامى عدة عناصر لعل أبرزها وأكثرها عددا هم البربر ، بالاضافة الى أعداد قليلة من القبائل العربية واليهود • ومن أشهر القبائل البربرية التى استوطنت جربة خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) قبيلة **لماية** وهى احدى بطون بنى فاتن من ضريسة من البربر البتر[1] ، وقبيلة لماية كانت من الظواعن بافريقية والمغرب وخاصة فى التخوم الجنوبية للصحراء بأرض السرسو ، وهم الذين عاونوا عبد الرحمن بن رستم فى تأسيس عاصمته تاهرت ، وباسم لماية سميت قرية لماية الواقعة بين زوارة وطرابلس[2] • وقد انتقل قسم من لماية الى جزيرة جربة ابان فترة خضوعها للرستميين ، ثم ازدادت هجرتهم اليها عقب سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين • ويذكر ابن خلدون أن من قبائل لماية قبيلة تسمى جربة هى التى أعطت للجزيرة اسمها ،

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ٦ ص١١٨ .

(٢) عبد العزيز بن عبد الله : الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية ، معلمة المدن والقبائل ، ملحق ٢ . المحمدية . ١٩٧٧ ص٢٥٦ — عبد الوهاب بن منصور . قبائل المغرب جـ١ ص٣٠٩ .

وأن هذه القبيلة مازالت تسكن هذه الجزيرة حتى عصره[٣] (القرن الثامن الهجرى/١٤م) .

ومن القبائل البربرية التى سكنت جربة **قبيلة زواغه** [٤] وهم من البربر البتر ، ومن أشهر بطونهم بجربة بنو دمر الذين كانوا يقطنون أيضا بجبل دمر الممتد جنوب قابس حتى جبل نفوسة[٥] . كذلك فقد استوطن جربة بعض قبائل كتامة البرانسية وخاصة قبيلتى صدغيان وسدويكش ، وقد جاءتا الى جربة فى بداية القرن الرابع الهجرى(١٠م). وعلى الرغم من أن قبيلة كتامة كانت الدعامة الرئيسية للدولة الفاطمية، الا أن ذلك لم يمنع صدغيان وسدويكش من اعتناق المذهب الاباضى والنزوح الى جربة[٦] . كذلك سكنت بعض أقسام من **قبيلة هــوارة** جزيرة جربة[٧] .

وفى القرن الثامن الهجرى كان البربر فى جزيرة جربة ينقسمون الى قسمين : قسم يقطن الناحية الشمالية والشمالية الغربية وهم من

---

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٦ ص١٢٢ . انظر كذلك : محمد بن مبارك الميلى : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، الجزائر ، بدون تاريخ جـ٢ ص١٨٣ .

(٤) العبدرى البلنسى : الرحلة المغربية . تحقيــق احمد بن جدو ، ص ٩١ .

(٥) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٦ ص١٢٩ — المرزوقى : مقدمة كتاب مؤنس الاحبة ص٣٣ .

(٦) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٦ ص١٢٢ — لقبال موسى : دور كتامة فى تاريخ الدولة الفاطمية . الجزائر ١٩٧٩ ص ٦١٠ . انظر كذلك : Encyclopedia of Islam, Art Djerba by Ever

(٧) ابن خلدون : نفس المصدر جـ٦ ص٣٧٤ .

الخوارج الوهبية وينتسبون الى بنى سمومن ، وقسم آخر يسكن الناحية الجنوبية والجنوبية الشرقيـة وهم من الخـوارج النكارية وينتسبون الى بنى عزون[8] .

أما **العناصر العربية** التى سكنت جربة فهى قليلة العدد نسبيا ، أبرزها بنو دباب وهم من الاعراب المنتجعين داخل البلاد[9] . كذلك وجد فى جربة بعض العناصر اليهودية[10] ، ولكن هؤلاء اليهود كانوا يعيشون فى حالة اجتماعية سيئة حسبما أشار روبرت برنشفيك استنادا الى رسالة تنسب الى أحد اليهود ويدعى ميمون ، وقد أشار ميمـون هذا الى أن اليهود فى المغرب ومن بينهم يهود جربة كانوا على درجة كبيرة من الانحطاط الثقافى[11] . وفى العصر الحفصى ، رحل قسم من يهود جربة الى مدينة بلرمو بصقلية للاستقرار هناك وذلك عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م . وقد شكل هؤلاء اليهود طائفة مستقلة عن بقية اليهود المقيمين فى بلرمو ، وتمكنوا بفضل براعتهم فى الزراعة من الحصول على تصريح من الامبراطور فريدريك الثانى لزراعة الحناء والنيلة ، كما عمل بعضهم فى البستان الملكى الخاص بالامبراطور فريدريك حيث أشرفوا على زراعة النخيل بهذا البستان[12] .

---

(٨) التجانى : رحلة التجانى : ص١٢٣ — ابن خلدون : نفس المصدر جـ٦ ص٣٧٤ .

(٩) روبرت برنشفيك : المرجع السابق جـ١ ص٣٤٩ .

(١٠) يرجع تاريخ هذه العناصر اليهودية فى جزيرة جربة الى نهاية القرن الاول الميلادى عندما تعرضت مدينة بيت المقدس للتخريب من قبل الرومان ، ففر قسم من سكانها اليهود الى بلاد المغرب حيث استقروا فى جزيرة جربة ، وانحدر من أصلابهم معظم يهود جربة حتى الوقت الحاضر .
Encyclopedia of Islam, Art Djerba by : J. DesPois

(١١) برنشفيك : المرجع السابق جـ١ ص٤٣١ .

(١٢) نفس المرجع السابق والصفحة .

لغـة أهـل جـربة :

على الرغم من انتشار الاسلام واللغة العربية فى بلاد المغرب عقب حركة الفتوحات الاسلامية ، الا أن هناك مناطق عديدة حافظت على لهجتها المحلية رغم معرفتها بالعربية ، وجزيرة جربة كانت من ضمن هذه المناطق ، فاللغة العربية استخدمت فى جربة فى أوساط المثقفـين والمتصلين بالسلطة بصفتها اللغة الرسمية للدولة الاسلامية ، ولم تتغلغل العربية بين سـكان جربة فى الفترة ما بين القرنين الثـانى والرابع الهجريين ، لأن جربة فى هذه الفترة خضعت لأئمة نفوسة وتاهرت ، وتولى أبناء جربة مهمة تسيير شئون مجتمعهم الاباضى • وبالطبـع لم يستخدم هؤلاء اللغة العربية بل استخدموا اللغة البربرية • وقد أشار الادريسى الى أن أهالى جربة يستخدمون اللغة البربرية خاصهم وعامهم[١٣] ، كما ذكر ليون الافريقى أن البربر بافريقية — ومنهـم بربر جربة — يتكلمون لغة واحدة تسمى آوال أمازيغ وهى التى يطلق عليها العرب اسم اللغة البربرية[١٤] •

ولاشك أن عزلة جربة النسبية عن بقية مجتمع افريقية ، واحتفاظ أهلها بأصولهم البربرية قد ساعد على استمرار استخدامهم لهذه اللغة، ويحاول أندريه جوليان أن يتخذ من الخلاف المذهبى بين أهل جربة وبقية مجتمع شمال افريقيا مبررا لبقاء اللهجة البربرية مستخدمة الى وقت قريب بين أهالى جربة[١٥] • ولكن يبدو أن هذه اللهجة لم تستخدم الا فى نطاق ضيق لا يتجاوز الاسرة والمسكن ، أما فى النطاق العـام خارج المنزل ، فاللغة العربية كانت هى المستعملة بين الناس جميعا[١٦] •

---

(١٣) الادريسى : نزهة المشتاق جـ١ ص ٣٠٥ •

(١٤) ليون الافريقى : وصف افريقيا ص٤٧ ، ص٤٦٦ •

(١٥) أندريه جوليان : تاريخ شمال افريقيا ، جـ٢ ص١٨٩ — ١٩٠ •

(١٦) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى جـ١ ص١١١ •

مساكن أهل جربة :

يجمع الرحالة الذين زاروا جربة ، وكذلك المؤرخون على أن أهل هذه الجزيرة يعيشون فى قرى بسيطة ، اذ لا يوجد بجزيرة جربة مدن كبيرة ، كما أن هؤلاء السكان نادرا ما يستخدمون الحجارة فى بنـاء مساكنهم • وقد أشار التجـانى الى أن أهل جربة يستخدمون جريد النخيل لبناء مساكنهم التى هى عبارة عن أخصاص (جمع خص) أو أكواخ بسيطة ، وكل أسرة لها خص أو أكثر تقيم فيه ، كما أن الابنية القائمة قليلة جدا بهذه الجزيرة[17] • أما ليون الافريقى فقد ذكر أن أهالى جربة يعيشون فى مداشر[18] تتبعثر فيها البيوت ولكل مزرعة بيتها الذى تسكنه فى الغالب عائلة واحدة[19] •

أهل جربة فى نظر الرحالة والجغرافيين المسلمين :

يتحامل كثير من الرحالة والجغرافيين المسلمين على أهالى جربة من البربر ويصفونهم بأشنع الصفات[20] ، فالادريسى يذكر أنهم أهل فتنة وخروج عن الطاعة وأن الشر والنفـاق موجود فى جبلتهم[21] ، أما التجانى ومعه الحميرى فيذكران بعض العادات الغريبة عن أهل جربة

---

(١٧) التجانى : رحلة التجانى ص١٢٢ — ١٢٣ . ونلاحظ ان اهالى جزيرة قرقنه يعيشون ايضا فى الاخصاص المصنوعة من جريد النخيل . راجع : الادريسى : نزهة المشتاق جا ص٣٠٤ .

(١٨) المداشر : (جمع مدشر) وهى مجموعة من البيوت القليلة العدد يبلغ عددها حوالى عشرة منازل تقريبا .

(١٩) ليون الافريقى : المصدر السابق ص٤٦٦ .

(٢٠) البكرى : المغرب ص ٨٥ — العبدرى : الرحلة المغربية ص٩١ .

(٢١) الادريسى : المصدر السابق جا ص ٣٠٥ .

سواء من النكارية أو الوهبية ، فيذكران أن أهالى جربة لا يماسح أحدهم ثوب رجل غريب ولا يمسكه بيده ولا يؤاكله ولا يأكل له فى آنية الا أن تكون آنية لا يقربها سواه ، ورجالهم ونساؤهم يتطهرون كل يوم عند الصباح ويتوضؤون ثم يتيممون لكل صلاة ، وان استسقى عابر سبيل شيئا من مياههم وعاينوه ، طردوه واستخرجوا ذلك الماء من البئر ، وثياب الجنب لا يقربها الطاهر ، وثياب الطاهر لا يقربها الجنب . ولكن برغم ذلك فقد أشاد الادريسى والحميرى ببعض الخصال الحميدة فيهم ، فهم يطهون الطعام ويندبون اليه ويسالمون الناس فى أحوالهم وفيهم عدالة بينة لمن نزل بهم[٢٢] .

النشاط الاقتصادى لأهل جربة فى العصر الاسلامى :

تنوعت مظاهر النشاط الاقتصادى لأهل جربة فى العصر الاسلامى من زراعة وصناعة وتجارة ، وكانت الزراعة والرعى هما الحرفتان الرئيسيتان لغالبية السكان على الرغم من أن التربة بجربة من النوع الرملى الذى يستلزم مجهودا كبيرا فى اعدادها للزراعة ، وقد أشار ليون الافريقى الى ذلك بقوله « والتربة هناك هزيلة ، ولهذا يجب العكوف على خدمتها وريها بماء ينتج من آبار عميقة كى يمكن زراعة قليل من الشعير فيها ، وينجم عن ذلك ندرة شديدة فى الغلة[٢٣] . وقد وصف أحد سكان جربة فى أواخر القرن السابع الهجرى كيفية تغلب الاهالى على ضعف التربة بجزيرتهم فقال « ان لدينا مياه عذبة مناسبة ، واننا نقوم بتسوية الارض الصالحة للحرث وقلب التربة بسكة المحراث وتنظيفه من الحصى ، وبعد ذلك نخلط التراب بالماء لنجعل منه نوعا من الغرين ، ثم نستعمل المحراث من جديد لشق الخطوط ،

---

(٢٢) التجانى : المصدر السابق ص١٢٣ — ١٢٤ — الحميرى : الروض المعطار ص ١٨٥ .

(٢٣) ليون الافريقى : المصدر السابق ص٤٦٦ .

ويترتب على ذلك كنتيجة لازمة يرجع سببها الى عزمنا على العمل أكثر مما يرجع الى الطبيعة ، وأن الله يمن علينا بخيراته فى الوقت المناسب بكميات ان لم تكن وافرة فهى على الاقل معقولة »[٢٤] .

وبرغم ذلك كانت جربة تنتج العديد من المحاصيل الزراعية مثل الكروم[٢٥] الذى ينتج بكثرة فى أراضيها ، ويقوم أهالى جربة بتجفيفه وعمله كزبيب يصدرونه للخارج خاصة الى الاسكندرية وبعض الاسواق الاوروبية[٢٦] ، كما يزرع أهل جربة التين ويجففونه أيضا[٢٧] ويصدرونه للخارج، كما تنتج جربة كميات لا بأس بها من البلح نظرا لوجود أعداد كبيرة من أشجار النخيل[٢٨] فى أغلب أنحاء جربة . أما الرمان فهو من أصناف الفاكهة التى زرعها أهل جربة[٢٩] . ومن أشهر أنواع الفاكهة التى تنتجها جربة التفاح ، فالعبدرى البلنسى يذكر أن تفاح جربة مشهور يجلب منها الى البلاد[٣٠] ، أما القلصادى الاندلسى — الذى زار جربة

---

(٢٤) روبرت برنشفيك : المرجع السابق جا ص٢١٦ نقلا عن Néo Castro : Historia Sicula, Chap. 66.

(٢٥) التجانى : المصدر السابق ص١٢٢ — ابن خلدون : العبر ج٦ ص٣٧٤ — الحميرى : الروض المعطار ص ١٥٨ .

(٢٦) Léon Mirot : Une expédition Française en Tunise au XIVe Siècle : Le Siège de Mahdia (1390), Revue des études historiques, Paris, 1931, p. 363.

أنظر كذلك : ليون الافريقى : وصف افريقيا : ص٤٦٧ .

(٢٧) ابن خلدون : المصدر السابق ج٦ ص٣٧٤ . كذلك راجع : برنشفيك : المرجع السابق ج٢ ص٢٣١ .

(٢٨) ليون الافريقى : المصدر السابق ص ٤٦٦ .

(٢٩) العبدرى : الرحلة المغربية ص٩١ .

(٣٠) نفس المصدر السابق والصفحة .

عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م — فيشير الى أن تفاح جربة له رائحة عجيبة[٣١] ، فى حين أن التجانى يذكر أن تفاح جربة لا يوجد له فى جميع بقاع الارض نظير « لما يوجد بها منه صفاء وجفافا وطيب مذاق ، وعطارة استنشاق، ورائحته توجد فى المسافة المديدة والاميال العديدة » • ويضيف أن أشجار التفاح كانت كثيرة جدا بجزيرة جربة قبل احتلال النصارى لها (حملة روجير دى لوريا ٦٨٣هـ) ، ولكن فى مطلع القرن الثامن الهجرى قلت أعداد أشجار التفاح بها لأن المحتلين النصارى كانوا يستولون على محصول الجزيرة من التفاح ويتحفون به ملوكهم وكبارهم دون دفع تعويض لأربابه ، ولذلك قام أهالى جربة بقطع أشجار التفاح وزراعة أصناف أخرى تعود عليهم بالفائدة ، ولهذا قل انتاجه بجربة[٣٢] •

ومن الحاصلات الزراعية التى تشتهر جربة بزراعتها نذكر الزيتون[٣٣] ، ومن المعلوم أن غالبية بلاد شمال افريقيا تشتهر بانتاجه ، وتتركز زراعة الزيتون فى المناطق الجنوبية منها • وقد اعتمدت البلاد التونسية على زيتون جربة عقب الدمار الذى أحدثته الغزوة الهلالية لبلاد المغرب • وقد أشار العبدرى الى ذلك ، فذكر أن الطريق بين القيروان ونفطه كان غابة افريقية حيث يكثر بها الزيتون الذى يعصر زيتا طيبا ، بيد أن هذا الطريق أصبح معطلا لفساد البلاد واستيلاء العربان عليها « فانقطعت بنفعتها رأسا حتى صار زيت افريقية مجلوبة من جزيرة جربة وهى جزيرة صغيرة منقطعة فى البحر فيها زيتون ورمان »[٣٤] • وكان زيت الزيتون المنتج من جربة من الانواع الممتازة ،

---

(٣١) القلصادى : رحلة القلصادى : ص١٢٣ — ١٢٤ •

(٣٢) التجانى : المصدر السابق ص١٢٢ •

(٣٣) البكرى : المغرب ص١٩ ، العبدرى : المصدر السابق ص٩١ •

(٣٤) العبدرى : نفس المصدر السابق والصفحة •

ويصدر الى المشرق وخاصة مصر وأقريطش (كريت) ، وقد ذكر الرحالة المصرى عبد الباسط بن خليل أنه شاهد سفينة تابعة لتجار البندقية تقوم بنقل زيت الزيتـــون من جربة الى الاسكندرية[٣٥] . كذلك كان زيت الزيتون الذى تنتجه جربة يصدر الى البلاد الاروبية[٣٦] ، وقد ذكر برنشفيك أن مكيال الزيت فى جربة يتمثل فيما عرف باسم «المطر» وهو يعادل حوالى ٢٠ر٦٩ لترا تقريبا[٣٧] .

أما أشجار النخيل فقـــد وجدت بكثرة فى جربة ، حيث استفاد أهلها من جريد الاشجار فى عمل مساكنهم التى أطلق عليهـــا كل من الادريسى والتجانى الاخصاص ، ونظرا لوفرة انتاج التمور كان قسم كبير منه يصدر الى خارج الجزيرة وخاصة الى البلاد الاروبية[٣٨] .

ومن الاشجار التى زرعت فى جزيرة جربة شجر السدر (النبق) حيث شاهد التجانى هذا النوع من الشجر فى مدينة جربة القديمة ، وذكر أن هذا الشجر يعرف بالسدر المصرى وأنه عظيم الحجم . ويقارن التجانى بين شجر السدر بجربة ونظيره المعروف فى البلاد التونسية

---

(٣٥) عبد الباسط بن خليل : رحلة عبد الباسط المستخرجة من كتاب الروض الباسم . تحقيق روبرت برنشفيك الذى نشرها تحت عنوان :
Deux Récits de Voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle, Paris, 1936, pp. 95-96.

انظر كذلك : روبرت برنشفيك : المرجع السابق جـ٢ ص٢٧٣ .

(٣٦) Léon Mirot : op. cit. p. 363. Setton : The Papey and the Levant V, 1, p. 330

(٣٧) برنشفيك : المرجع السابق جـ٢ ص٢٦٢ .

(٣٨) التجانى : المصدر السابق ص١٢٢ ـ ابن خلدون : المصـــدر السابق جـ٦ ص٣٧٤ ـ القلصادى : المصدر السابق ص١٢٤ .

فيقول « وهذا السدر مخالف لسدر بلادنا هذه ، وهو أكثر ثمرا وأعطر رائحة ، وأما المطعم ففيه غثاثه ... وانما نسب لمصر لكثرته بها »[٣٩].

أما المعادن بجزيرة جربة فكانت قليلة فيما يبدو ، فلم تحدثنا المصادر عما تنتجه الجزيرة من معادن ، وان كان البكرى قد أشار الى أن الذهب يوجد بأرضها بكثرة[٤٠] . وقد أشتهر أهالى جربة ببراعتهم فى استخراج الملح ، حتى أن الملح كان من السلع الاساسية التى يصدرها أهالى جربة الى الخارج وخاصة لمدينة البندقية[٤١] ، فهناك وثيقة مؤرخة فى ٣ مارس ١٣٢١م/٢١ صفر ٧٢١هـ تتعلق بسعر وشروط تصدير ملح جربة الى البندقية[٤٢] ، كما أن أحد سفراء البندقية قد أوضح للسلطان الحفصى أبى العباس أحمد أثناء مقابلته له عام ١٣٩١م/٧٩٣هـ أن البندقية ترغب فى أن تقتصر التجارة مع الحفصيين على سلعتين اثنتين هما : الحبوب والملح ، وكان يشير الى ملح جربة[٤٣] .

ويعتبر رعى الاغنام من الحرف التى اشتغل بها عدد لا بأس به من سكان جربة ، فالمصادر تشير الى وفرة الاغنام بها وخاصة من السلالة ذات الالية الغليظة المنتشرة فى البلاد التونسية[٤٤] ، وقد اكتسب صوف أغنام جربة شهرة طيبة فى الاسواق الخارجية نظرا لليونته

---

(٣٩) التجانى : ص١٢٧ .

(٤٠) البكرى : ص ٨٥ .

(٤١) Encyclopedia of Islam : Art. Djerba, by J. Despois

(٤٢) Mas Latrie : op. cit. (Section de République de Venise) pp. 221-222.

(٤٣) برنشفيك : المرجع السابق جـ٢ ص٢٧٤ .

(٤٤) ليون الافريقى : وصف افريقيا : ص٦٤٣ .

ورطوبته ، وقد أشار القلصادى فى رحلته الى هذه الناحيــة بقوله : « ومما خصت به لين الصوف ورطوبته ، وتصير الشاة من غير الجزيرة فيما بعد اقامة سنة مثل أشباهها من رطوبة الصــوف »[٤٥] . وكان أهالى جربة يصدرون قسما من الصوف اما خاما أو مغسولا الى كل من مارسيليا والبندقية وجنوه وبيزة وذلك فى عهد الحفصيين[٤٦] . كما قام أهل جربة بصــناعة الاقمشة والمنسوجات من صــوف هذه الاغنام ، وقد أشاد التجانى بجودة المنسوجات الصوفية التى تنتج فى جربة وقال « واختصت هذه الجزيرة أيضا دون غيرها من البلاد بحسن الاصواف المحمودة الاوصاف التى ليس بافريقية لما ينسج من أثوابها نظير ، وذلك معلوم وأمرها شهير »[٤٧] . أما ابن خلدون فلم يخف هو الآخر اعجابه بأصواف جربة ، فذكر أن جزيرة جربة اختصت بالنسيج وعمل الصوف ، وأن أهالى جربة يتخذون منه الاقمشة المعلمة التى يصنعون منها الشمل (جمع شملة) ، أما غير المعلمة فكانوا يصنعون منها ملابسهم ، وكانت جربة تصدر هذه الاقمشة بنوعيها الى كافة الاقطار فيتقنيها الناس للباسهم[٤٨] . أما الرحالة المصرى عبد الباسط فقد شاهد هو الآخر خلال رحلته سفينة تحمل المنسوجات الصوفية من جربة الى الاسكندرية[٤٩] .

---

(٤٥) القلصادى : المصدر السابق ص١٢٣ — ١٢٤ .

(٤٦) برنشفيك : المرجع السابق ج٢ ص٢٧٣ .

(٤٧) التجانى : المصدر السابق ص١٢٢ .

(٤٨) ابن خلدون : المصدر السابق ج٦ ص٣٧٤ .

(٤٩) عبد الباسط : الرحلة (نشر برنشفيك) ص٩٦ ، ويتفق ليــون الافريقى مع عبد الباسط بن خليل فى أن الاقمشة الصوفية التى تصنع بجربة كانت تنقل منها الى تونس ومنها الى الاسكندرية . راجع : وصف افريقيا ص ٤٦٧ .

وفى بلاد المغرب الاقصى عرف نوع من الزرابى يسمى الزرابى الجربية كان يصنع فى جربة من الصوف ويصدر الى هذه البلاد[٥٠] .

كذلك عمل قسم كبير من أهالى جربة فى صناعة الاوانى الخزفيه، وهى من الصناعات المعروفة فى جربة منذ وقت بعيد ومازالت قائمة حتى الآن ، حيث يستخدم الخزافون الجربيون الصلصال اللزج الذى يوجد بكثرة حول قرية قلاله ويصنعون منــه آوانى خزفية بيضــاء براقة يصدرونها الى تونس وطرابلس[٥١] . أما ســكان السواحل فكانوا يعملون فى صيد الأسماك .

واذا تحدثنا عن الاسواق فى جربة ، نقول أن هذه الجزيرة كانت تستهوى كثيرا من التجار نظرا لرخص أسعارها وتنوع منتجاتها ، وكانت بلدة حومة السوق (احدى قرى جربة وتقع فى أقصى شمال الجزيرة) تشتهر بسوقها الكبير ، وقد نشأت هذه البلدة من فكرة السوق الاسبوعية التى تقام مرة كل أسبوع . وقد تحدث ليون الافريقى عن شهرة سوق هذه البلدة بقوله : « ويقام فى هذه القرية سوق مرة كل أسبوع وهو يشبه معرضا لأن كل سكان الجزيرة يتجمعون فيه ، ويقصده الكثــير من العرب ، كذلك من البربر وهم يقودون ماشيتهم ويجلبون اليه كمية من الصوف »[٥٢] .

أما عن علاقات جربة التجارية مع الخارج ، فقد كان لها علاقات تجارية مع غالبية مدن البحر المتوسط ، لأن موقعها على طرف خليج قابس لفت أنظار الدول البحرية اليها ، وجعلها من الاماكن الصالحة لكى تكون مرفأ تجاريا ، ولذلك قصدها العديد من تجــار الاسكندرية

---

(٥٠) عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب جا ص ٢٨٥ .

(٥١) راجع مادة « جربة » فى دائرة المعارف الاسلامية بقلم ج . ايفر .

(٥٢) ليون الافريقى : المصدر السابق ص٤٦٦ — ٤٦٧ .

وتونس[٥٣] • ولذلك وجد فى جربة عدد من الفنادق الخاصة بالتجار المسيحيين خاصـــة فى العصر الحفصى[٥٤] • ولاشك أن أهالى جربة استفادوا كثيرا من وضع جزيرتهم كمركز تجارى ومعبر من معـــابر تجارة البحر المتوسط ، وقد نوه ليون الافريقى بكثرة المبالغ التى تحصل عليها السلطات فى جربة كرسوم للجمارك بسبب التجارة التى تمارس فيها على نطاق واسع[٥٥] •

ومن الانشـــطة التى مارســـها بعـــض أهل جربة — برغم عدم مشروعيتها — القرصنة البحرية حيث اشتهرت الجزيرة فى العصور الوســـطى وبداية العصور الحديثة على أنهـــا واحدة من أهم مراكز القرصـــنة فى حوض البحـــر المتوســـط • وقد قاسى كل من المسلمين والمسيحيين من الهجمات المتكررة التى شنها الجربيون على الســـفن التجارية التى تمر بالقرب من جربة • وسبق أن أشرنا الى الحملة التى شنها الامير أبو الحسن على بن يحيى بن تميم على هذه الجزيرة للقضاء على نشاط القراصنة بها ، كما أشرنا أيضا الى الحملات المتكررة التى شنتها القوى المسيحية على هذه الجزيرة والتى كانت تتخذ من نشاط أهل جربة البحرى ذريعة لشن هذه الحملات •

ولعل حديثنا عن اشتغال أهل جربة بركوب البحـــر يدفعنا الى القول بأن صناعة السفن والمراكب كانت من المهن التى يعمل بها العديد

---

(٥٣) ذكر ابن بطوطه أنه أثناء عودته من مصر الى بلاد المغرب استقل قرقورة لبعض التجار التونسيين حملته من الاسكندرية الى جربة حيث نزل بها ثم غادرها الى طرابلس . راجع : رحلة ابن بطوطه : جـ٤ ص٣٢٧ .

(٥٤) اندريه جوليان : المرجع السابق جـ٢ ص٢٩٦

Ateya : op. ci. p. 401.

(٥٥) ليون الافريقى : المصدر السابق ص٤٦٨ .

من الجربيين ، وعلى الرغم من أن المصادر التى بين أيدينا لم تشـــر صراحة الى وجود دار لصناعة السفن فى جربة ، الا أننا يمكن أن نقول أن صناعة السفن والمراكب كانت من المهن التى عمل بهـــا أهل جربة وساعدهم على ذلك وجود كميات لا بأس بها من أشجار النخيل وأشجار السدر ، والا فكيف نفسر وجود هذا العدد الكثـــير من السفن التى هاجم بها أهل جربة السفن التجارية فى خوض البحر المتوسط ؟ .

الحياة الفكرية فى جربة

كانت جربة من المراكز العلمية المهمة خاصة فيما يتعلق بعـلوم المذهب الاباضى ، فقد برز من أبنائها أو من أقام فيها عدد لا بأس به من الفقهاء الذين كانت نظرياتهم الفقهية وفتاويهم يعمل بها فى سائر مراكز تجمع الاباضية ، كما قصد اليهم كل اباضى يريد التفقه فى أصول هذا المذهب • وقد نشطت الحركة العلمية فى جربة خاصة خلال الفترة التى انضوت فيها تحت لواء الرستميين[٥٦] • وكان هؤلاء الفقهـاء (أو المشايخ كما تسميهم كتب الطبقات الخاصة بالاباضية) يقومون بالقاء دروسهم فى المساجد وخاصة المسجد الكبير ، ويتحلق الطـلاب حولهم • ومن أشهر علماء المذهب الاباضى فى جربة الشيخ أبو مسور يصلتين اليهراسانى (من بنى يهراسن) الذى سبق أن أشرنا اليـه والى ولده فيصل الذى وصف بأنه فقيه عالم عارف بجميع العلوم[٥٧]. كذلك نذكر أبا الربيع سليمان بن يخلف المزاتى الوسيانى(ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) الذى وصفه الدرجينى بأنه الاصولى الفقيه الزكى النبيه[٥٨]. ويشير ابن خلدون الى أن الاباضية فى جربة كانوا يتدارسون مذاهبهم

---

(٥٦) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٥٧٥ .

(٥٧) محمد أبو راس : مؤنس الاحبة ص ٩٠ .

(٥٨) الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب جـ١ ص ٤٢٥ — ٢٤٩ .
أنظر كذلك : ابو زكريا : سير الأئمة ص١٨٤ — ١٨٨ .

فى مجلدات تشتمل على تآليف ، لأنهم فى توعر ديانتهم وأصول عقائدهم وفروع مذاهبهم يتناقلونها ويعكفون على دراستها وقراءتها[٥٩] •

ومن مشاهير علماء الفقه الاباضى الشيخ أبو الطاهر اسماعيل بن موسى الجيطالى (ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م) ، هذا الرجل كان يقيم فى بداية حياته بطرابلس ، ولكنه لم يلبث أن غادرها الى جربة حين وقع خلاف بينه وبين علماء المذهب بجبل نفوسه ، وفى جربة نزل بالجامع الكبير حيث اجتمع اليه العلماء والطلبة • ومن أشهر تآليف الجيطالى كتاب القواعد والقناطر وكتاب شرح قواعد الاسلام[٦٠] ، وكتاب شرح النونيه[٦١] • وتعتبر مؤلفات الجيطالى الفقهية من المصادر الاساسية لدراسة أصول المذهب الاباضى فى وقتنا الحالى •

وفى مجال التأليف التاريخى أشتهر اثنان من أبناء جربة فى هذا المجال وخاصة فى كتب الطبقات ، وأولهما أبو العباس أحمد بن سعيد بن على بن يخلف الدرجينى ، وهو من أهل القرن السابع الهجرى/١٣م وينتمى الى أسرة تجارية من أهل جبل نفوسة ، وكان والده يعيش فى منطقة درجين السفلى بالقرب من نفطه فى بلاد الجريد ، ولذلك نسب اليها • وقد وصل أبو العباس أحمد الى جربة بعد عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م حيث أخذ عن مشايخها وعلمائها أصول الفقه الاباضى ، وقد اكتسب الدرجينى تقدير علماء الاباضية فى جربة بفضل ذكائه ومقدرته الفائقة على استيعاب كافة ما يتعلق بالفقه الاباضى ، ولذلك طلب منه مجلس

---

(٥٩) ابن خلدون : العبر ج٦ ص١٢٢ — ١٢٣ •

(٦٠) توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٦٧ب •

(٦١) انظر : محمد ابو راس : المصدر السابق ص٩١ — ٩٢ •

العزابة[٦٢] فى جربة أن يؤلف لهم كتابا عن سير أئمة ومشايخ الاباضية سواء فى المشرق أو المغرب فألف كتابه الشـهير « طبقـات المشايخ بالمغـرب » • وقد توفى الدرجينى حوالى عام ٦٧٠هـ/١٢٧٢م[٦٣] • وثانيهما أبو القاسم ابراهيم البرادى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى/١٤م ، وقد تلقى البرادى علومه الاولية على يد الشيخ الاباضى أبى البقاء يعيش الجربى وذلك فى مدينة دمر بالجنوب التونسى ، ثم رحل بعد ذلك الى جبل نفوسة ثم الى جربة حيث استقر به المقام هناك وصار أحد علمائها البارزين، وكان يلقى دروسه فى جامع الزبيب بجربة ، وألف كتابه المسمى « الجواهر المنتقاة فى اتمام ما أخل به كتاب الطبقات لأبى العباس الدرجينى » • وواضح من أسم هذا الكتاب أنه استكمال لكتاب طبقات المشايخ للدرجينى • وللبرادى أيضا رسالة ذكر فيها عناوين بعض المؤلفات الاباضية أسماها « رسالة فى تقييد كتب أصحابنا »[٦٤] •

---

(٦٢) العزابة : اسم لجماعة ومفردهم عزابى ، وهو مشتق من العزوب عن الشىء أو البعد عن الامور الدنيوية ، والعزابة تعنى الانقطاع والعزلة الجماعية وتنطبق خصوصا على طلبة العلم ، ويطلق لفظ العزابة عند الخوارج الاباضية على هيئة تقوم بالاشراف على شئون المجتمع الاباضى الدينيـة والسياسية والاجتماعية ، وهى بمثابة مجلس للشورى ، ومقـر مجلس العزابة بالمسجد . راجع : أبو زكريا : سير الائمة ص١١٨ والحاشية رقم ٥ ص١٢٣ .

(٦٣) راجع ترجمته فى : البرادى : الجواهر المنتقاة فى اتمام ما اخل به كتاب الطبقات لأبى العباس الدرجينى . القاهرة ، طبعة حجرية ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤ ص ٢١٥ . كذلك انظر : عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص١٧ — ١٨ .

(٦٤) توجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٧٩١ب . وعن البرادى راجع : عوض خليفات : المرجع السابق ص ٢٠ — ٢١ .

خاتمـــــة

استعرضنا خـــلال الصفحات القليلة السابقة جوانب من تاريخ جربة السياسى والحضارى ، وكما قلنا فى بداية هذا البحث أن تاريخها يكتنفه الكثير من الغموض فى العصور الاسلامية نظرا لقلة ما كتب عنها، وقد حاولنا بقدر الامكان أن نجلى بعض جوانب هذا الغموض وخاصة خلال القرون الاربعة الاولى للهجرة • وقد أوضحت هذه الدراسة أن اعتناق أهل جربة للمذهب الاباضى الخارجى كان عاملا رئيسيا فى تشكيل تاريخها ، بحيث اقترن تاريخ جربة خلال هذه الحقبة بتاريخ المذهب الاباضى فى بلاد المغرب ، كما أن الصراعات التى نشبت بين معتنقى هذا المذهب وانقساماتهم المختلفة قد انتقلت الى جربة ، فانقسم أهلها الى وهبية ونكارية • وعلى الرغم من خضوع هذه الجزيرة من الناحيـــة السياسية للسلطات الحاكمة فى افريقية مثل الفاطميين والزيريين ، الا أن أهل جربة كان لهم قدر كبير من الحرية فى تصريف شئونهم الداخلية عن طريق مشايخهم ومجالس عزابتهم • وقد حاول أهالى جربة التخلص من سيطرة مخالفيهم فى المذهب عليهم عن طريق القيام بعدة ثورات ، الا أن هذه الثورات أخفقت فى تحقيق الاستقلال السياسى للجزيرة • وقد استمر وضع الجزيرة كذلك حتى تعرضت لهجـــوم النورمان عام ٥٢٩هـ/١١٣٤م ، فقد أراد هؤلاء النورمان أن يتخذوا من جربة نقطة انطلاق لشن الهجمات على السواحل التونسية والاستيلاء على مدن وموانىء هذه السواحل ، وقد نجح النورمان فى ذلك بفضـــل تمركز أسطولهم القوى فى جزيرة جربة • بيد أن جربة لم تستمر طويلا تحت حكـــم النورمان ، حيث تم تحـــريرها على يد الموحدين أيام الخليفة

عبد المؤمن بن على الذى تمكن من طرد النورمان من كل المدن الساحلية لبلاد المغرب حتى انهارت دولتهم وبسط الحفصيون سيطرتهم على هذه الجزيرة • وقد تعرضت جربة خلال العصر الحفصى لعدة حوادث هامة، فقد استولى عليها اسطول صقلية والاراجونيون عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وقد أشرت الى الاختلاف بين الروايات حول تاريخ هذه الغزوة وهل تمت فى عام ٦٨٣هـ أم فى ٦٨٨هـ؟ وقد خلصت الى ترجيح تاريخ ٦٨٣هـ لعدة أسباب أشرت اليها فى ثنايا هذا البحث • وقد تناولت حكم أسرة دى لوريا القطلانية لجزيرة جربة ، ثم أشرت الى محاولات الحفصيين استعادة هذه الجزيرة لدائرة نفوذهم ، خاصة وأنها أصبحت تشكل خطرا كبيرا على بلادهم • وفى هذا الصدد تعرضنا لذكر الحملة الشهيرة التى قام بها شيخ الموحدين أبو يحيى زكريا بن اللحيانى عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م لطرد الاراجونيين منها • وعلى الرغم من فشل حملة أبى يحيى بن اللحيانى الا أن محاولات الحفصيين لم تنقطع لاستعادة هذه الجزيرة من يد الاراجونيين ، حتى تمكن الحفصيون عام ٧٣٨هـ/١٣٣٧م من تحريرها من المحتلين • وقد استمرت جربة منذ ذلك التاريخ تابعة للحفصيين حتى تعرضت فى عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م لغارة تخريبية من قبل أساطيل جنوه وبيزه وصقلية ، ثم هاجمها ألفونسو الخامس ملك أراجون بأساطيله عام ٨٣٥هـ/١٤٣١م ، ولم تؤد هذه الغارات الا الى احداث بعض الاضرار المادية ، أما الجزيرة فقد بقيت تابعة للحفصيين •

أما الجوانب الحضارية لجزيرة جربة ، فبرغم قلة المادة التاريخية التى تعين على توضيح هذه الامور فاننا استطعنا أن نعطى صورة تكاد تكون واضحة لبعض هذه الجوانب ، فعلى سبيل المثال تناولنا بالحديث عناصر سكان هذه الجزيرة وأوضحت أن غالبيتهم كانوا من العناصر البربرية ، بالاضافة الى أعداد قليلة من العناصر العربية واليهودية ، كما أشرت الى لغة أهل جربة حيث أنهم ظلوا يستخدمون البربرية فى تعاملاتهم اليومية وشئونهم الخاصة ، أما العربية فقد استخدمت فى

التعامل مع السلطات الحاكمة . وتناول البحث آراء بعـض الرحالة والجغرافيين المسلمين فى أهل جربة حيث وصفوهم بأشنع الصفات ، ويبدو أن سبب هذا التحامل من قبل هؤلاء يرجع الى الاختلاف المذهبى بين أهل جربة الخـوارج وهؤلاء الرحالة من السنيين . أما النشاط الاقتصادى لأهالى جربة فقد كانت الزراعة هى الحرفة الرئيسية لهم ، وكان الكروم والتفاح والزيتون من أشهر حاصـلات جربة ، وكانت تصدر كميات كبيرة منها الى الخارج . كما برع أهل جربة فى استخراج الملح من أراضيهم وصدروه كذلك الى الخارج . أما رعى الاغنام فقد عمل نفر كبير من أهل جربة فى هذه المهنة ، كما اشتهرت الاصـواف والملابس الصوفية والزرابى التى تنتجها جربة شهرة واسعة تحدث عنها الرحالة والمؤرخون مثل ابن خلدون والرحالة المصرى عبد الباسط بن خليل وليون الافريقى . وفى الختام أشرت الى الحياة الفكـرية بجزيرة جربة وذكرت بعض مشاهير علمائها .

ملحـــــق

رسالة بعث بها السلطان الحفصى أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحيانى الى خايمى الثانى ملك أراجون يطلب منه أن يصدر أوامره لقائد أسطول جربة بعـــدم التعرض للسفن الاســـلامية المتجهـــة الى الشـــواطىء التونسية[1] . (الرسالة مؤرخة بتاريخ ١٣ مايو وان لم تحدد العام الذى كتبت فيه) .

نص الرســـــالة

الملك الجليل الأثير الخطير الرفيع الشهير الأظهر الأوفى الأمجـــد الأسعد الأحفل ملك أرغون وبلنسيه ومرسية جاقم[2] بن الملك الجليل الأثير الخطير الرفيع الشهير الأظهر الأوفى بطره[3] تولى الله ارشـــاده وواصل اسعاده ، شاكر رتبته ، العليم بقدره ومكانته[4] ، زكرياء بن

---

(١) نص الرســالة محفـــوظ فى ارشيف تاج اراجون ونشـــره آلاركون وليناريس فى كتابهما :

Los Documentos Arabes Diplomaticos del Archivo de la Corona de Aragon. P. 284.

(٢) هو خايمى الثانى .

(٣) يقصد الملك بدرو الثالث **Pedro III** ملك اراجون ووالد خايمى الثانى .

(٤) وردت : مكانه .

أحمد يسلم عليكم بأتم السلام . وأعرفكم أنى أمرت بالكتب لكم فى أمر المراليه لجير[٥] لتنهوه عن التعرض لبلاد افريقية فانه قد أفسد فيها فى العام الفارط كثيرا ، وهو عبدكم وعامل على مرضاتكم ، فان أمرتموه أن لا يتعرض لبلادنا فهو يقف أمركم ولا يتعداه ، وقد حصل بيننـــا وبين أخيكم السلطان فدريك[٦] من المحبة والمواصلة كثيرا ، وسررت بذلك ، فالحمد لله الذى جعل المحبة فيكم وفى أسلافكم ثابتـــة ، وهذا المراليه لم يقف عند حده ، والغرض أن يصل كتبكم له بالارتجاع عن هذه الجهات ، فان وقف عند حده فحسن فهو القصد ، وان لم يرتجع ويصل جوابكم ولم يقف عند أمركم ، فوالله لأنزلن جربة بنفسى ونقطع ثمارها ونهدم ديارها ، ولا نترك فيها منفعة ، ومحبكم على أول حبة فيكم وهو كل يوم يتزايد ويتضاعف ، والله يصل ارشادكم ويتـــوالى اسعادكم ، والسلام عليكم ، وكتب فى الثالث عشر لمايه .

---

(٥) يقصد الادميرال أو القائد البحرى روجر : Almirante Roger حاكم جربة فى ذلك الوقت .

(٦) يشير الى الملك فريدريك الثالث ملك صقلية .

مصادر ومراجع الكتاب

أولا : المصادر العربية :

١ — ابن الأثير : أبو الحسن على بن حمد الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
— الكامل فى التاريخ ، طبعة دار صادر . بيروت .

٢ — الادريسى : أبو عبد الله محمد الشريف السبتى (ت حوالى ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م) .
— نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، تحقيق مجموعة من العلماء، نشر مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة بدون تاريخ .

٣ — البرادى : أبو القاسم بن ابراهيم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) .
— الجواهر المنتقاة فى اتمام ما أخل به كتاب الطبقات لأبى العباس الدرجينى . القاهرة . طبعة حجرية ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م .

٤ — ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى (ت ٧٧٩هـ/
— تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار . نشره وترجمه الى الفرنسية ديفريمرى وسانجونيتى . أربعة أجزاء . باريس ١٩٦٩م .

٥ — البكرى : أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز المرسى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) .
— المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب . نشر البارون دى سلان . الجزائر ١٩١١م .

٦ ـ البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) •
ـ فتوح البلدان • تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد • القاهرة ١٩٥٦م •

٧ ـ التجانى : أبو محمد عبد الله بن محمد (ت حوالى ٧١٧هـ/١٣١٧م)•
ـ رحلة التجانى • نشر حسن حسنى عبد الوهاب • تونس ١٩٥٨م •

٨ ـ ابن تغرى بردى : أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٥م) •
ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة • القاهرة ١٩٣٨م •

٩ ـ الجربى : محمد أبو راس (ت بعد ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م) •
ـ مؤنس الأحبة فى أخبار جربة • تحقيق محمد المرزوقى • تونس ١٩٦٠م •

١٠ ـ ابن الحاج النميرى : أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) •
ـ فيض العباب وافاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب • تحقيـق د• رضـوان البارودى ود• أحمد الطوخى • الاسكندرية (تحت الطبع) •

١١ ـ ابن حمديس الصقلى : أبو بكر عبد الجبار بن محمد (ت ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م) •
ـ ديوان ابن حمديس • تحقيق د• احسان عباس • دار صادر• بيروت ١٩٦٠م •

١٢ ـ الحميرى : عبد المنعم السبتى (ت• أواخر القرن التاسع الهجرى/ ١٥م) •

— الروض المعطار فى خبر الاقطار • تحقيق د• احسان عباس بيروت ١٩٧٥م •

١٣ — ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)•

— أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، القسم الخاص بتاريخ المغرب وصقلية ، نشره الدكتور أحمد مختار العبادى والاستاذ ابراهيم الكتانى • الدار البيضاء ١٩٦٤م •

١٤ — ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)•

— كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر • بولاق ١٢٨٤هـ •

١٥ — الدرجينى : أبو العباس أحمد بن سعيد (ت ٦٧٠هـ/١٢٧١م) •

— طبقات المشايخ بالمغرب المعروف بطبقات الاباضية • تحقيق ابراهيم طلاى • مطبعة البعث • قسنطينة ١٩٧٤م •

١٦ — الزركشى : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللؤلؤى •

— تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية • تونس ١٢٨٩هـ •

١٧ — أبو زكريا : يحيى بن أبى بكر السدراتى الورجلانى (ت ٤١٧هـ/ ١٠٧٨م) •

— كتاب سير الأئمة وأخبارهم • تحقيق اسماعيل العربى • الجزائر • ١٩٧٩م •

١٨ — الزهرى : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر (ت أواسط القرن السادس الهجرى/١٢م) •

— كتاب الجغرافية • تحقيق محمد حاج صادق • نشر مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة • بدون تاريخ •

١٩ — ابن سعيد المغربى : أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) •

— المغرب فى حلى المغرب • تحقيق د• شوقى ضيف • القاهرة ١٩٦٤ • جزءان •

٢٠ — السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) •
— الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى • الدار البيضاء ١٩٥٤م •

٢١ — الشماخى : أبو العباس أحمد بن سعيد (ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م) •
— كتاب السير • طبعة حجرية • القاهرة ١٨٨٤م •

٢٢ — ابن الشماع : أبو عبد الله محمد ابن أحمد (من رجال القرن التاسع الهجرى/١٥م) •
— الادلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية • ليبيا ١٩٨٤ •

٢٣ — ابن الصغير المالكى : (ت أواخر القرن الثالث الهجرى/بداية العاشر الميلادى) •
— أخبار الأئمة الرستميين • تحقيق وتعليق الدكتور محمد ناصر والاستاذ ابراهيم بحاز • منشورات دار الغرب الاسلامى • بيروت ١٩٨٦ •

٢٤ — عبد الباسط بن خليل : زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الحنفى (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م) •
— رحلة عبد الباسط بن خليل ؛ مأخوذة من كتابه « الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم » • نشرها روبرت برنشفيك فى كتابه :

Deux Récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle, Paris, 1936.

٢٥ — ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) .

— كتاب فتوح مصر وأخبارها . ليدن ١٩٢٠م .

٢٦ — العبدرى : محمد بن على البلنسى : (ت أواخر القرن السابع الهجرى/١٣م) .

— الرحلة المغربية . تحقيق أحمد بن جدو . الجزائر .

٢٧ — ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن محمـــد (كان حيا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) .

— البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب . الاجزاء الثلاثة الاولى تحقيق ليفى بروفنسال و ج.س.كولان . بيروت ١٩٨٠ . والجزء الرابع تحقيق احسان عباس . بيروت . ١٩٨٠ . والقسم الخاص بعصر الموحدين وبداية عصر دولة بنى مرين ، تحقيق عبد القادر زمامه ومحمد الكتانى ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر . الدار البيضاء ١٩٨٥ .

٢٨ — القلصادى : أبو الحســـن على بن محمـــد بن على البســـطى (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م) .

— رحلة القلصادى . دراسة وتحقيق محمد أبو الاجفان . تونس ١٩٧٨ .

٢٩ — القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) .

— صبح الاعشى فى صناعة الانشا . نشر مركز تحقيق التراث بدار الكتب . القاهرة .

٣٠ — ابن القنفذ القسنطينى : أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م) .

ــ الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية • تقديم وتحقيق محمد الشاذلى النيفر وعبد المجيد التركى • تونس ١٩٦٨م•

٣١ ــ ليون الافريقى : الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ت ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م) •

ــ وصف افريقيا ، ترجمه عن الفرنسية الدكتور عبد الرحمن حميدة ، منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية• الرياض ١٣٩٩هـ •

٣٢ ــ المالكى : أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله (ت القرن الخامس الهجرى/١١م) •

ــ رياض النفوس • تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١م •

٣٣ ــ ابن مرزوق : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن أبى بكر بن مرزوق التلمسانى (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م) •

ــ المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا أبى الحسن • نشر وتحقيق د• ماريا خيسوس بيجيرا • الجزائر • ١٩٨١ •

٣٤ ــ مؤلف مجهول : (ت القرن السادس الهجرى/١٢م) •

ــ الاستبصار فى عجائب الامصار • نشر وتحقيق د• سعد زغلول عبد الحميد • مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٥٨م•

٣٥ ــ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) •

ــ السلوك لمعرفة دول الملوك • نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة • القاهرة ١٩٧١ •

٣٦ ــ النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) •

— نهاية الأرب فى فنون الأدب . القسم الخاص ببلاد المغرب والاندلس . نشر دكتور مصطفى أبو ضيف . الدار البيضاء ١٩٨٥م .

٣٧ — ياقوت الحموى : أبو عبد الله شهاب الدين الحموى (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) .

— معجم البلدان . طبعة بيروت . بدون تاريخ .

ثانيا : المراجع الحديثة والمعربة :

١ — أحمد (عزيز) :

— تاريخ صقلية الاسلامية . ترجمة د. أمين توفيق الطيبى . طرابلس الغرب ١٩٨٠م .

٢ — اسماعيل (دكتور محمود) :

— الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٨٦م .

٣ — البارونى (سليمان بن الشيخ عبد الله) :

— الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الاباضية . تونس . بدون تاريخ .

٤ — برنشفيك (روبرت) :

— تاريخ افريقية فى العهد الحفصى . ترجمة وتعليق حمادى الساحلى ، منشورات دار الغرب الاسلامى . بيروت ١٩٨٨م.

٥ — جوليان (شارل أندريه) :

— تاريخ افريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة ، تونس ١٩٧٨م .

٦ — خليفات (دكتور عوض محمد) :
— نشأة الحركة الاباضية • عمان ١٩٧٨م •
٧ — ريتشيتانو (أمبرتو) :
— النورمنديون وبنو زيرى من الفتح النورمندى لصقلية حتى وفاة روجر الثانى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الحادى عشر ، الجزء الاول ، ١٩٤٩م •
٨ — زمباور :
— معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى • ترجمه دكتور زكى محمد حسن ودكتور حسن أحمد محمود ودكتورة سيدة اسماعيل كاشف • القاهرة ١٩٥١م •
٩ — سالم (الدكتور السيد عبد العزيز) :
١ — المغرب الكبير • الاسكندرية ١٩٦٦م •
٢ — تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الابيض المتوسط ، بالاشتراك مع الدكتور أحمد مختار العبادى • بيروت ١٩٧٢ •
١٠ — الشيخ (الدكتور محمد محمد مرسى) :
— الممالك الجرمانية فى أوربا فى العصور الوسطى • الاسكندرية ١٩٧٥م •
١١ — عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح) :
١ — أوربا العصور الوسطى • الجزء الاول • القاهرة ١٩٦٦م •
٢ — الحركة الصليبية • الجزء الثانى • الطبعة الثالثة • القاهرة •
١٢ — العبادى (الدكتور أحمد مختار) :
— دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس • الاسكندرية ١٩٦٨م •

١٣ — عبد الحميد (الدكتور سعد زغلول) :

— تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية ١٩٧٩م .

١٤ — عبد العزيز بن عبد الله :

— الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية ، معلمة المدن والقبائل ، المحمدية ١٩٧٧م .

١٥ — عبد الوهاب بن منصور :

— قبائل المغرب ، المطبعة الملكية بالرباط ١٩٦٨ .

١٦ — المطوى (محمد العروسى) :

— السلطنة الحفصية ، منشورات دار الغرب الاسلامى ، بيروت ١٩٨٦م .

١٧ — الميلى (محمد بن مبارك) :

— تاريخ الجزائر فى القديم والحديث ، الجزائر ١٩٦٣م .

ثالثا : المراجع الاجنبية :

1 — **Alarcon Y Linares :**

— Los documentos arabes diplomaticos del archivo de La Corona de Aragon, Madrid-Granada 1940.

2 — **Atiya (Aziz Sorial) :**

— The crusade in the later middle ages, London, 1938.

3 — **Canellas (Angel) :**

— Aragon Y La empresa del estrecho en el Siglo XIV, Estudios de edad media de La Corona de Aragon, Seccion de Zaragoza, Vol. II., Zaragoza, 1940.

4 — **Dufourcq (Charles-Emmanuel) :**

— L'Espagne Catalane et Le Maghrib aux XIIIe et XIVe sièiles, Paris, 1966.

5 — Encyclopedia of Islam.

6 — Latrie (De Mas) :

— Traités et Documents divers concernant les relations des Chrétiens et des Arabes au Moyen Age, Paris, 1889.

7 — Mirot (Léon) :

— Une expédition Française en Tunis aux XIVe siécle : Le siège de Mahdia (1390), Revues des Etudes historiques, Paris, 1931.

8 — Ros (Angel Masia de) :

— La Corona de Aragon Y Los estados del norte de Africa, Barcelona, 1951.

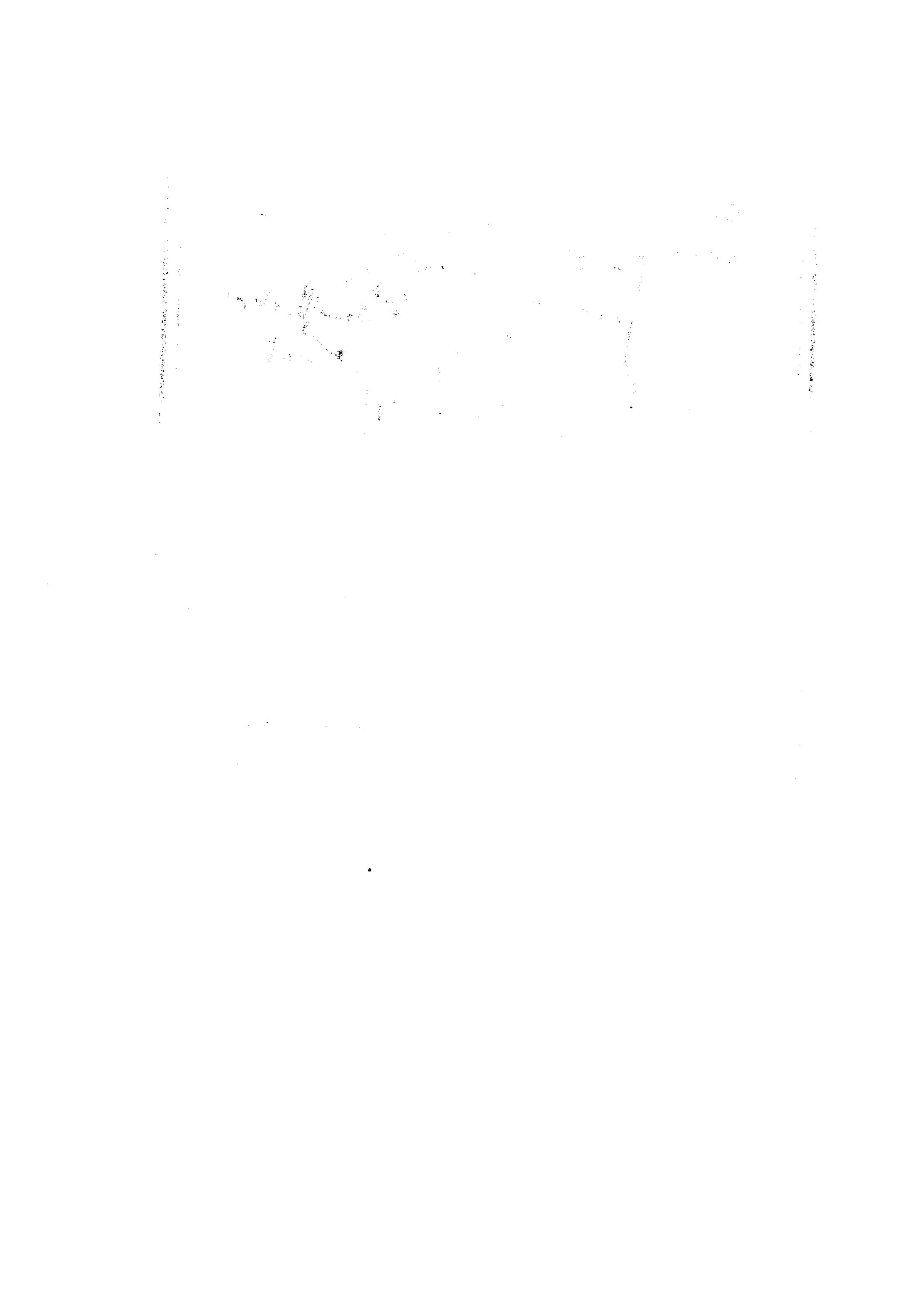
9 — Setton (Kenneth M.) :

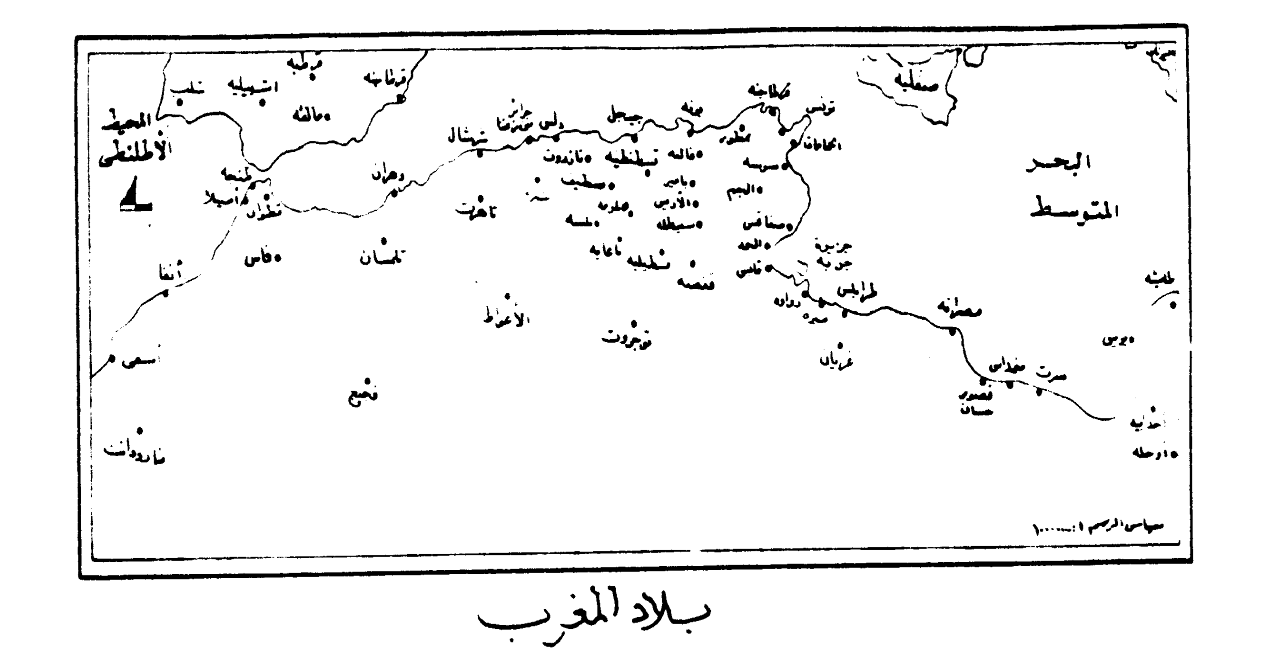
— The Papacy and the Levant, Vol., 1, Philadelphia, 1976.



نقلا عن محمد المرزوقي

جزيرة جربة




المحيط الأطلنطي
البحر المتوسط
صقلية
تونس
قرطبة
اشبيلية
مالقة
وهران
تاهرت
تلمسان
فاس
سرت

بلاد المغرب

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩١/١٥٩٦
الترقيم الدولى : .I.S.B.N
977 - 10 - 0444 - 1

دار نشـر الثقـــافة
١٣ شارع حسبو ـ منشا ـ محــرم بك
٤٩٣٢١٩٨/٤٩٢٠٦٢٥
الاسكندرية